نيابة عن ذاته وجميع صفاته وأسمائه (و) مع ذلك ليس هو كمال المظهرية على الاطلاق اذ (رفع بعضكم فوق بعض درجات) يرتفع بعضهم على بعض بدرجة والمرفوع عليه يرتفع على المرتفع بأخرى فان فرض جامع للدرجات فلا يكون أيضا الها لان رفع درجاته ليس بذاتي بل عارض (ليبلوكم فيما آتاكم) هل تشكرونه فيه أم لا فان لم تشكروه سلبت منكم درجاتكم بالمعاقبة (ان ربك سريع العقاب) فلا يبقى درجاتكم مدة يتوهم فيها كونها ذاتية لكم (و) ان شكرتم ستر ت نقائصكم ورفعت درجاتكم (انه لغفور رحيم) فليست درجاتكم ذاتية حتى تدل على الالهية لحدوثها بعد العدم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الاعراف)

سميت بها لانها من المنازل الرفيعة لاهل الكمال المفيضين على سائر الطوائف فشأنها أولى بالاعتبار من سائر الشؤن المذكورة في هذه السورة (بسم الله) الجامع للكمالات التي تجلى بها في هذا الكتاب لتوسيع صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه (الرحمن) بانذار الكل المنجي عن المكاره وتذكيرهم الموصل الى المحبوبات (الرحيم) بتخصيص فائدتهما بالمؤمنين (المص) أي أحسن لآلئ المكارم الصافية أو أعلى لطف معد للصعود أو أكمل لامع مفيد للصيانة أو أعزاب معجز صادق (كتاب أنزل اليك) لتحليتهم بتلك اللآلئ أو للتلطف عليهم بما يعدهم للصعود أو لانارتهم بما يكشف لهم عن المنافع والمضار الحقيقية أو لاعزازهم بلب الصدق بما يرون من الاعجاز (فلا يكن في صدرك حرج منه) من حزن من لا يتحلى أو لا يتلطف أو لا يستنير أو لا يتعزز اذ لم ينزل لالزامهم ذلك بل (لتنذر به) من لا يتصف بما ذكر (و) تذكر به فوائد هذه الامور (ذكرى) نافعة (للمؤمنين) المصدقين بهذه الاوصاف وفوائدها وأي حرج لك فيه وليس عليك الا أن تقول لهم (اتبعوا) للوصول الى هذه الامور العالية (ما أنزل) لتحصيلها (اليكم) أيها القاصرون بأنفسكم (من ربكم) الاعلى الذي ربا كم بتنزيل هذه الامور العالية (و) لا تطلوا هذه التربية بمتابعة من دونه (لا تتبعوا من دونه) فان أقل ما فيها ترك الاعلى للادنى (أولياء) مع انهم أعداء لو تذكرتم بتنزيلهم اياكم من الاعلى الى الاسفل لكن (قليلا) من التذكر (ما تذكرون) كيف (و) ليس اقتصارا على التنزل بل اهلاك كل بمجرى السنة المستمرة اذ (كم) أي كثيرا (من قرية أهلكناها) باتباعهم أولياء من دونه مع ترك متابعة ما أنزل الله ولم يكن من قبيل الابتلاء الذي تظهر علاماته قبله غالبا بل كان فجأة (فجاءها بأسنا) أي عذابنا (بياتا) أي باتين يعني نائمين ليلا (أو هم قائلون) أي نائمون نهارا جزاء على غفلتهم مع خفاء البرهان تارة وظهوره أخرى ويدل على أنه ليس للابتلاء الذي يعم المؤمن والكافر انهم أرادوا دفعه بحجة لكن لم يجدوها (فما كان دعواهم) أي حجتهم التي يدعون التمسك بها لدفعه (اذ

خطبكن) أي أمركن والخطب الامر العظيم (قوله تعالى خاصا وانجيا) أي تفردوا من الناس يتناجون أي يسر بعضهم الى بعض (قوله عز وجل خروا له سجدا) أي كذلك كانت تحيتهم في ذلك الوقت وانما سجدوا هو لله عز وجل (قوله عز وجل خبت زدناهم سعيرا) يقال خبت النار تخبو اذ سكنت (خاوية على عروشها) خالية قد سقط

جاءهم بأسنا) الذى لا يقبل معه عذر (الا أن قالوا) ما يلزمهم (انا كنا ظالمين) بترك متابعة ما أنزل الله لمتابعة من دونه واتخاذهم أولياء مع كونهم أعداء ومع اعترافهم بالظلم لما كانت المؤاخذة فجأة من غير سؤال يظهر به تفاصيل ما يستحقونه فيظهر به كمال العدل قال (فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسئلن) لعدم وفائهم ببيان جزئيات ما جرى (المرسلين فقصورهم عن الاحاطة (لنقصن عليهم بعلم) لم يحصل لهم لغيبتهم عن أمور (وما كنا غائبين) عن شئ من الاشياء (و) لم نقتصر على علمنا بل بينا لهم بالوزن أعمالهم ومقاديرها على ما هى عليه اذ (الوزن) وان كان اليوم لا يخلو عن تفاوت (يومئذ الحق) المطابق له الواقع بلا تفاوت فكان مقدارا لجزاء مرتبا عليه (فمن ثقلت موازينه) كلها اذ كانت لجميع أعماله مقدار عند الله من القبول (فأولئك هم المفلحون) بكل ما ذكر من النجاة والصعود والاستنارة والتعزز (ومن خفت موازينه) اذ لم يكن لشئ من أعماله مقدار من القبول عند الله (فأولئك الذين خسروا) تلك الاعمال وان كان لها مقدار فى أنفسها عنده وكان بها كمال أنفسهم فكأنهم خسروا (أنفسهم) اذ حبطت (بما كانوا بآياتنا يظلمون) كأنها أخذت بالمظالم (و) كيف لا تتبعون ما أنزل اليكم مما يثقل موازينكم فانا (لقد مكناكم) من التصرفات (فى الارض) بأية عناية التحقوا بنا بمتابعة ما أنزلنا اليكم (وجعلنا لكم فيها معايش) لتشكروها بصرفها الى ما خلقت له لتحصلوا معايش السعادات الابدية بمتابعة ما أنزلنا اليكم وبترك متابعة من دونها لكنكم (قليلا) من الشكر (ما تشكرون و) كيف تتبعون من دونه وهو بالتابعية أولى وكيف تتخذون من دونه وليا تسجدون له وهو بل من هو أعلى منه بالساجدية أولى من المسجودية لانه (لقد خلقناكم) مثل ما خلقناهم (ثم صورناكم) بالصور الجامعة لاسرار الحق والخلق دونهم (ثم) خصصناكم بروح كامل من أجله (قلنا للملائكة) الذين هم أعلى من معبوديكم (اسجدوا لآدم) فعرفوا رتبته (فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين) اذ رأى لنفسه رتبة المسجودية (قال) يا ابليس ليست لك تلك الرتبة (ما منعك) من السجود لآدم فاخترت (ألا تسجد) ترجيحا لمنعه على أمرى (اذ أمرتك قال) منعنى علو رتبتى اذ (أنا خير منه) لان عنصرى أعلى من عنصره اذ (خلقتنى من نار) مركزها يلى فلك القمر فوق الهواء والماء والتراب (وخلقته من طين) ممزوج من تراب وماء ومركزهما دون مركز النار (قال) اعتبرت العنصر دون الروح (فاهبط منها) أى من رتبة الملكية الى رتبة العناصر (فما يكون لك أن تتكبر) بفضل العنصر الادنى (فيها) أى فى رتبة الملكية التى دون رتبة الانسانية (فاخرج) منها أى من تلك الملكية التى كنت لحقتها (انك من الصاغرين) من أهل العناصر الذين لا كمال روحانى لهم (قال أنظرنى الى يوم يبعثون) فلا تمتنى لاغرهم بأن يتخذونى وذريتى أولياء من دونك (قال انك من المنظرين) لتزداد اثما فتزداد بعدا (قال) اذ أنظرتنى

بعضها على بعض (قوله عز وجل خرجا) وخراجا اتاوة وغلة والخرج أخص من الخراج يقال أد خرج رأسك وخراج مدينتك وقوله عز وجل أم تسألهم خرجا فخراج ربك معناه أم تسئلهم أجرا على ما جئت به فأجر ربك وثوابه خير (وقوله عز وجل فهل نجعل لك خرجا) أى جعلا (قوله الخبيثات للخبيثين) أى الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس وكذلك

لذلك

لذلك (فبما أغويتني) أي لتحقق اغوائك اياي من أجلهم (لاقعدن) مترصدا (لهم صراطك المستقيم) الذي شرعت لهم ليسلكوه فيصلوا الى المراتب العالية من التحلي والصعود والاستنارة والتعزز وغير ذلك مما خلقتهم من أجله فأفسد عليهم الاعتقادات والاخلاق (ثم لآتينهم) لافساد أعمالهم (من بين أيديهم) لافكارالجزاء (ومن خلفهم) للتشويق الى الدنيا (وعن أيمانهم) بمنع الاعمال الطالحة التي يحتاج فيها الى قوة الروح على النفس (وعن شمائلهم) للحث على الاعمال الطالحة بتضعيف الروح (و) بالجملة (لاتجد أكثرهم شاكرين) صارفين نعمتك الى ماخلقتها من أجله (قال اخرج منها) أي من الرتبة التي أخرجتك منها (مذؤما) بذم اضلال الخلائق مع ذم ضلالك (مدحورا) مطرودا من الجهتين (لمن تبعك منهم) لجعله من اتباعك في الذم والطرد (لأملأن جهنم منكم أجمعين) يلعن بعضكم بعضا ثم أشار الى أن أقل ما في متابعة ابليس من غير اتخاذه وليا الخروج من الجنة وان دخلها بلا عمل (و) ذلك أن الله تعالى قال (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) المشتملة على المراتب العالية من التحلي والصعود والاستنارة والتعزز جامعا بينها وبين المراتب الحيوانية (فكلا) بلا تراخ (من حيث) أي من كل مكان (شئتما ولا تقربا هذه الشجرة) الدنيئة من بين الاشجار الفائتة للحصر فضلا عن أن ينتفع بشئ منها فضلا عن الاكل (فتكونا) بمجرد قربانها (من الظالمين) المضيعين لما حصل من تلك المراتب المستحقين للهتك والعذاب (فوسوس) مخيلا للنفع (لهما الشيطان) ليهتكا حرمة الله فيهتك حرمتهما (ليبدي) أي يظهر (لهما ماورى) أي ستر (عنهما) فلم ير أحدهما من الآخر (من سوآتهما) أي عوراتهما (وقال) في تخييله النفع لهما كما يخيل لكم الآن في عبادته من التقرب الى الله والشفاعة عنده (مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة) البعيدة مراتب كمالاتها عن الاحاطة (الا) كراهة (أن تكونا ملكين) لاتشتغلان عنه بطعام وقد أراد شغلكما به ابعادكما منه (أو) كراهة أن (تكونا من الخالدين) في الجنة وقد أراد اخراجكما عنها (وقاسمهما) وراء ما بعدهما (اني لكما لمن الناصحين) في هذا الامر وان كنت عدوكما في سائر الامور (فدلاهما) أي نزلهما عن عقلهما (بغرور) أي بما غرهما من القسم اذ ظنا أن أحدا لا يقسم بالله كاذبا (فلما ذاقا الشجرة) أي وجدا طعمها (بدت) أي ظهرت قبل الفراغ من الاكل (لهما سوآتهما وطفقا) أي أخذا (يخصفان) أي يلزقان (عليهما من ورق الجنة) ورقا فوق ورق (وناداهما ربهما) توبيخا (ألم أنهكما عن) قربان (تلكما الشجرة) البعيدة عن توهم النفع (و) ألم (أقل لكما ان الشيطان لكما) في كل شئ (عدو مبين) وان اظهر لكما النصح وقاسمكما عليه فلم تتبعا قولي واتبعتماه (قالا ربنا ظلمنا) أي أضررنا (أنفسنا) بمتابعته وترك متابعتك (وان لم تغفر لنا) بعفو هذه المعصية (وترحمنا) بالعود الى اللطف (لنكونن من الخاسرين) بخسر جميع ما حصل لنا من الكمالات (قال) انكم

الطيبات من الكلام (قوله للطيبين من الناس (قوله عز وجل خلق الاولين) أي اختلافهم وكذبهم وقرنت خلق الاولين أي عادتهم (قوله الخبيث) المستقر ويقال خبث الثمرات المطر وخبث الارض النبات (قوله عز وجل ختار) غدار والختر أقبح الغدر (قوله خاتم النبيين) آخر النبيين (قوله عز وجل خر) أي سقط على وجهه (قوله عز وجل

وان غفر لكم ورحتم فلا بد من أثر لمعصيتكم وأقله الهبوط (اهبطوا) منها أى من المراتب العالية والعداوة لاتباعكم قول العدو (بعضكم لبعض عدو) بمقتضى ذلك الاثر مدة مديدة اذ (لكم فى الارض مستقر و) ينسيكم تلك المراتب العالية اشتغالكم بالامور الحيوانية اذ لكم (متاع الى حين) وكأنهم حينئذ قالوا هل نصل بعد تلك المدة الى الجنة (قال فيها تحيون) مدة (وفيها تموتون) فتلبثون فى القبر مدة أطول من الاولى (ومنها تخرجون) فتبقون فى مقامات القيامة مدة ثم منكم من يصل الى الجنة ومنكم من يهبط الى أسفل سافلين ثم أشار الى أنه كما كان للمعصية ذلك الاثر فللتوبة أيضا أثر واقله ستر العورة بعد ابدائها فقال (يا بنى آدم) أى يا أولادا من هتكت حرمته بابداء عورته (قد) رحمنا كم بتوبة اذ (أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم) أى يستر عوراتكم (و) زدنا عليه (ريشا) أى لباسا يكون زينة فهذا ساتر الظاهر وزينته (ولباس التقوى) ساتر عيوب الباطن وزينته (ذلك خير) لان الظاهر محل نظر الخلق والباطن محل نظر الحق والعيوب الباطنة أفحش من العورات الظاهرة (ذلك) أى لباس التقوى (من آيات الله) أى دلائل مشاهدة القلب لله (لعلهم يذكرون) بهذه المشاهدة مشاهدة الآخرة (يا بنى آدم) الذى فتنه الشيطان بهتك لباس التقوى (لا يفتننكم الشيطان) بهتك لباس التقوى فيخرجكم من نظر الله بالرحمة اليكم (كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما) بنزع لباس التقوى (لباسهما) الظاهر (ليريهما سوآتهما) الظاهرة الدالة على السوأة الباطنة وقد سهل عليه الفتنة وعسر عليكم التحفظ (انه يراكم هو وقبيله من حيث) أى من مكان (لا ترونهم) فيه وانما يتحفظ عنه بقوة الايمان المانع من اتباع ولى من دون الله (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) يوهمونهم أنهم يحصلون لهم التجلى والصعود والاستنارة والتعزز (و) يسترون عنهم القبائح باعذار كاذبة مثل انهم (اذا فعلوا) فعلة (فاحشة) أى متناهية فى القبح ككشف العورة فى الطواف وعبادة الاصنام (قالوا) فى الاعتذار (وجدنا عليها آباءنا و) هم لغاية كمالهم لا يصدر عنهم فعل شنيع الا بأمر الله اذ (الله امرنا بها قل) تحسنون الظن بآبائكم وتسيؤن بالله (ان الله لا يأمر بالفحشاء) وان كان قد يأمر بما لا يدرك العقلاء حسنه (أتقولون) من حسن ظنكم بآبائكم (على الله ما لا تعلمون) من نسبة القبائح اليه (قل) كيف يأمر بالفحشاء مع انه لا يأمر بما فيه افراط أو تفريط انما (أمر ربى بالقسط) أى العدل الاوسط (و) منه الامر بالتوجه الى القبلة فان ترك التوجه اليها تفريط فى العبادة ولا يتم معه توجه الباطن الى الحق وعبادة القبلة افراط كعبادة الاصنام فقال (أقيموا وجوهكم) الى القبلة (عند كل مسجد) أى سجود (و) لا تدعوا القبلة دعاءهم للاصنام بل (ادعوه مخلصين له الدين) عن مشاركة القبلة وغيرها لانه استحق عبادتكم بابدائه اياكم ولا يسعكم تركها اذ اليه عودكم فانه (كما بدأكم تعودون) وليس العود اليه كما لا بكل حال بل (فريقا هدى) فيكون عودهم عود الطالب الى المطلوب (وفريقا حق عليهم الضلالة) فيكون عودهم عود الهارب الى

(خط) قال أبو عبيدة الخط كل شجر ذى شوك وقال غيره الخط شجر الاراك وأكاله ثمره (قوله خامدون) أى ميتون (قوله تعالى خطف الخطفة) أخذ الشئ بسرعة واستلاب (قوله عز وجل خوله) أى أعطاه (قوله عز وجل الخراصون) أى الكذابون والخرص الكذب والخرص أيضا الظن والحزر (قوله تعالى خيرات حسان)

المهروب عنه وقد تحقق هرب هؤلاء (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله و) ان كانوا (يحسبون أنهم) بذلك (مهتدون) يتوصلون بهم الى الله و يستشفعون اليه ولا يعلمون ان ذلك لا يتأتى من أعداء الله أصلا ومما حسبوا فيه انهم مهتدون بمتابعة الشيطان تركهم التزين والتلذذ مع للعبادة فطافوا عراة وتركهم اللحم والدسم مع الاحرام فقال عز وجل (يا بنى آدم) الذين خلق لهم الزينة واللذائذ (خذوا زينتكم) من اللباس (عند كل مسجد) أى صلاة وطواف فان من أفحش الفواحش ترك هذا التزين سيما فى العبادة وهى أولى أوقات التزين (وكلوا واشربوا) أيام الحج تقويا على العبادة (ولا تسرفوا) اسرافا يوجب الانهماك فى الشهوات ويشغل عن العبادة (انه لا يحب المسرفين) لذلك فان زعموا ان التزين والتلذذ ينافيان التذلل الذى هو العبادة فيحرمان معها (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده) الذين خلقهم لعبادته فقد أخرجها لهم ليتزينوا بها حال العبادة فعل عبيد الملوك اذا حضروا خدمته ولا ينافى ذلك تذللهم له (والطيبات من الرزق) التى خلقها لتطييب قلوب عباده ليشكروه والشكر عبادة فلا ينافى التلذذ العبادة بل يكون داعية اليها فان زعموا ان التزين والتلذذ من طيب الحياة الدنيا ولا يتطيب بها المؤمنون (قل هى) مخلوقة (للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا) ليعلوا بها الذات الآخرة فيرغبوا فيها من يدر غبة لكن شاركهم الكفرة فيها لئلا يكون هذا الفرق ملجئا لهم الى الايمان فاذا ذهب هذا المعنى تصير (خالصة) لهم (يوم القيامة) فلو حرمت على المؤمنين لكانت مخلوقة للكافرين وهو خلاف مقتضى الحكمة وان خلقت للمؤمنين فأولى أوقات الانتفاع بها وقت جريانهم على مقتضى الايمان وهو العبادة والتقوى لكن من غير انهماك فى الشهوات (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) الحكمة فى خلق الاشياء واستعمال الاشياء على نهج ينفع ولا يضر فان زعموا أنه يخاف من التزين والتلذذ الوقوع فى الكبر والانهماك فى الشهوات فيحرمان على أهل العبادة (قل) انهما من المنافع الخالصة فى أنفسهما والافضاء احتمال غير محقق فاذا أفضى فالحرام هو المفضى اليه بالذات لانه (انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها) كالكبر والانهماك فى الشهوات (وما بطن) كالاسراف المفضى اليها غالبا (و) لكن اذا أفضى حرم لانه حرم (الاثم) كالانهماك فى الشهوات (والبغى) كالكبر الضار للخلق فان كل ما يضرهم حرام اذا كان (بغير الحق) وأما اذا كان بالحق فانه وان كان ضارا فى الظاهر فهو نافع فى الحقيقة فلا يحرم وتحريم ما لم يحرم الله اشراك (و) قد حرم (أن تشركوا بالله ما لم ينزل به) عليكم (سلطانا) مع ان الامور الاعتقادية لا يصح الاعتقاد بها الا ببرهان قاطع والخوارق لا تدل على الهيتها فضلا عن أن تكون براهين هذا اذا كان باستقلال والا فهو افتراء على الله (و) قد حرم عليكم (أن تقولوا على الله ما لا تعلمون و) لا يدل وقوع هذه الامور من بعض الامم مع تأخير اهلاكهم على جوازها اذ الاهلاك انما يكون بعد تحقق الجرم وهو بالامهال مدة يمكن فيها التأمل والاعتذار لذلك كان (لكل أمة أجل

يريد خيرات تخفف (قوله تعالى خافضة رافعة) تخفض قوما الى النار وترفع آخرين الى الجنة (قوله عز وجل خصاصة) أى حاجة وفقر وأصل الخصاص الخلل والفرج ومنه خصاص الاصابع وهو الفرج التى بينها (قوله عز وجل خاسئا وهو حسير) مبعدا وهو كليل (قوله تعالى خسف القمر) وكسف

فاذا جاء أجلهم) ولم يتأملوا فيها ولم يعتذروا (لا يستأخرون ساعة) للتأمل والاعتذار (ولا يستقدمون) باستجمال العذاب استهزاء فان زعموا أن العقلاء يحترزون المخوفات وان بعد احتمالها قيل لهم يزول ذلك الاحتمال بالرسل (يا بنى آدم) الذى جعله الله رسولا فلا يبعد أن يجعل فى أولاده الرسل (اما يأتينكم رسل) أى ان تحقق اتيان رسل (منكم) تعرفون صدقهم وديانتهم (يقصون عليكم آياتى) أى يتبعون بعضها بعضا مما يقرر ما يخاف منه وما لا يخاف وما يصلح فيزيل المخوف وما لا يصلح (فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم) من الاحتمالات (ولا هم يحزنون) من مخالفته من يعتقد فيه كمال العقل (و) كيف يدعون الاحتراز عن المحتملات البعيدة ولا يبالون بأشد المخوفات من الكفر والتكذيب والاستكبار اذ (الذين) كفروا مع دلالة الآيات على أشد المخوفات لكنهم (كذبوا بآياتنا) لم يكن ذلك لرؤيتهم النقص فيها بل لانهم (استكبروا عنها) فزعموا أن الآيات شبهات وما هم عليه صريح العقل (أولئك) البعداء عن مقتضى صريح العقل (أصحاب النار) ولا يخرجهم عقلهم منها بل (هم فيها خالدون) كيف وهم أظلم الناس فى التحليل والتحريم لانهم ان نسبوهما الى الله من غير سماع منه ولا من واحد من رسله أو ممن سمع منهم كانوا مفترين على الله وان نسبوهما الى عقولهم كانوا مربجين لها على آيات الله مكذبين بالآيات من أجلها (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك) المبالغون بزعمهم فى الاحتراز عن الاحتمالات البعيدة (ينالهم نصيبهم من الكتاب) أى مما كتب عليهم من القبائح التى لا احتمال لزوال الخوف عنها كعبادة غير الله على ظن انهم شفعاء مما توهموا من المخوفات البعيدة الاحتمالات ويستمرون عليها (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) أى الملائكة لقبض أرواحهم (قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله) ليكونوا لكم شفعاء مما احتمل عقولكم فلا نراهم يخلصونكم مما تحقق عليكم من هذه الشدائد (قالوا ضلوا عنا) فلم يخلصونا من شئ من الموهوم ولا من المحقق (و) اعترفوا أن ذلك كان عين المخوف حتى اذ (شهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) فلم يفدهم الاعتراف بالكفر بل (قال) أى الله لهم (ادخلوا فى) جملة (أمم قد خلت) أى مضت قائلة بهذه الاقوال (من قبلكم) فتبعتموهم (من الجن والانس) فاتبعوهم (فى النار) من غير أن يفيدوكم شيأ بل (كلما دخلت أمة لعنت أختها) التى كانت على ملتها (حتى اذا ادارأوا) أى تلاحقوا (فيها جميعا) أى مجتمعين على العداوة بعد الصداقة (قالت أخراهم) أى الاتباع زعما (لاولاهم ربنا هؤلاء) الذين (أضلونا) بتكلمهم بهذه الكلمات قبلنا (فآتهم عذابا) لاضلالهم ايانا (ضعفا) بضم عذاب ضلالهم اليه فاجعل لهم نصيبا (من النار) حتى تتخلص (قال) تعالى بل (لكل ضعف) للاولى بالضلال والاضلال وللاخرى بالضلال وتقليد أهل الضلال مع وجود الهادين بالبراهين القاطعة (ولكن لا تعلمون) ما يستحقه كل فرقة (وقالت أولاهم) ردا (لاخراهم) التخلص انما يكون بالفضل فاذا ضللتم وقلدتم الضالين (فما

كان

سواه أى ذهب ضوءه (قوله عز وجل خاب من دساها) أى فانه الظفر ودساها أخفاها بالكفر والمعاصى

(باب الخاء المضمومة)

(قوله عز وجل خطوات الشيطان) أى آثاره (قوله عز وجل خلة) أى مودة وصداقة متناهية فى الاخلاص (خوار) صوت البقر (قوله عز وجل خمرهن) جمع خمار وهى

كان لكم علينا من فضل) ولم نجئكم الى اتباعنا (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) من القبائح الظاهرة المستحلات البعيدة المرفوعة على ألسنة الرسل وكيف تتخاصون من النار وهي محيطة بعالم العناصر فلا يتخلص منها الا بفتح أبواب السماء بل بدخول الجنة التي فوق الكرسي الذي فوق السموات اذ يم أثرها السموات وليس شئ منها لهؤلاء (ان الذين كذبوا بآياتنا) التي هي طرق الجنة (واستكبروا عنها) وهو موجب للرد الى أسفل سافلين (لا تفتح لهم أبواب السماء و) ان فتحت (لا يدخلون الجنة) لان تكذيبهم ان لم يسد عليهم طرقها فلا أقل من التضييق فلا يدخلونها (حتى يلج) أي يدخل (الجمل) الذي هو مثل في عظم الجرم فيما هو مثل في الضيق (في سم) أي ثقبة ابرة هي مدخل (الخياط) ما يخاط به (و) لا يختص هذا أي عدم الفتح والدخول بالمكذبين المستكبرين بل (كذلك نجزي المجرمين) بالكفر كالمشرك والجاحد وان لم يبلغهم الرسالة فلم يكذبوا ولم يستكبروا ولا يقتصر في حقهم على ذلك بل تحيط بهم النار حتى يكون (لهم من جهنم مهاد) أي فراش من تحتهم (ومن فوقهم غواش) أي أغطية اذا حاطت بهم الخطيئة (و) لا يختص بالاظلمين بل (كذلك نجزي الظالمين) بالكفر بعد بلوغ الرسالة اليهم ثم أشار الى أن فتح أبواب السماء وتوسيع أبواب الجنة لا يتوقف على أفعال شاقة حتى يكون لتاركها نوع من العذر فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) وليس المراد الاحاطة التي تعجز عنها الطاقة غالبا اذ (لا نكلف نفسا الا وسعها أولئك) وان بعدوا الآن عن الجنة وحالت بينهما السموات (أصحاب الجنة) وايمانهم وأعمالهم وان كانت مدة يسيرة لكن (هم فيها خالدون) فلا يكون بقدر مدة الاكتساب ولا بقدر الاعمال (و) لا يكون بينهم ما يكون بين أهل النار من العداوة بل قد (نزعنا ما في صدورهم من غل) وان كان بعضهم أدنى من بعض اذ لا يرون دونهم حيث (تجري من تحتهم الانهار و) يشكرون كما لهم حتى (قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) أي لاسباب هذا العلو بارسال الرسل والتوفيق للعمل (و) كيف يعلون على الغير لو رأوا دونوا نقصهم لانهم يرون قصورها حيث يقولون (ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) ويرون من غاية قصورها انهم لم يقدروا على استفاضة كمالاتهم من الله بلا واسطة الرسل فقالوا (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فاستفاضوا منه الكمالات فأفاضوها علينا (و) لما رأوا دونوا نقصهم وأعمالهم (نودوا) من جهة الله (أن) أي ان الشأن (تلكم الجنة) العظيمة (أورثتموها) من الذين علوا بها الاعمال الشاقة فاستكبروا بها حتى أنكروا على الرسل الذين جاؤا بالحنيفية السمحة (بما كنتم تعملون) من الاعمال التي استحقرتموها فكان ذلكم أكثر من ذلهم مع انقيادكم لآياته ورسله غرفلكم الله اليها ثم أشار الى أن أهل الجنة وان نزع عنهم الغل يتعاونون مع أهل النار فعل أهل الغل من زيادة التحسير فقال (ونادى أصحاب الجنة) الوارثون لها من أهل النار (أصحاب النار) الذين ورثوها من أهل الجنة (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا) من المراتب العالية على الايمان وان قصر أعمالنا عن امكاننا (حقا فهل وجدتم ما وعد

المقنعة سميت بذلك لان الرأس يخمر بها أي يغطى وكل شئ غطيته فقد خمرته والخمر ما واراك من شجر (قوله عز وجل خلطاء) أي شركاء (قوله عز وجل الخلود) بقاء دائم لا آخر له (قوله عز وجل خشب) جمع خشب (الخنس الجوار الكنس) خمسة أنجم زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد سميت بذلك لانها تخنس في مجراها

ربكم) من تنزيلكم الى أسفل سافلين لاستكباركم على الآيات والرسل وان كانت أعمالكم شاقة ومن اعلاه من لم يستكبر الدرجات التي توقعتم لانفسكم على أعمالكم الشاقة (حقا قالوا نعم) وان كان فيهم شماتة لكنهم خافوا من الانكار زيادة النكال (فأذن) أي نادى (مؤذن) هو اسرافيل (بينهم) ليسمعهم زيادة في شماتة احد الفريقين وندامة الآخر (أن) عذاب الله يزداد لاستمرار ابعاده اياكم عن رحمته اذ (لعنة الله) أي ابعاده عن رحمته مستقرة (على الظالمين) بابطال حكمته في خلق العقلاء لمعرفته وعمارة الدارين بحيث لا يحجبهم شيء عن شيء وهم أبعدوا أنفسهم وغيرهم عن ذلك اذهم (الذين يصدون) أنفسهم وغيرهم (عن سبيل الله) الذي بينه على ألسنة رسله لمعرفته وعمارة الدارين فاستكبروا عليهم وزعموا أن عمارة الدارين عجاب عن الله (ويبغونها عوجا) بتغيير الاعتقادات والاحكام الحكيمة لهم وهو ابعاد أيضا (و) قد ازدادوا ابعادا بانكار المنتهى اذ (هم بالآخرة كافرون) وانما يترهبون بالتلذذ في التجرد لله وتحصيل الخوارق والانتفاع به عند التناسخ الذي يتوهمونه ثم أشار الى أنه (و) ان سمع كل فريق كلام الآخر من مكانه فلا يصل شيء من آثار أحد المكانين الى الآخر اذ (بينهما حجاب) هو السور المضروب بينهما (و) لم يصل أثر النار الى أهل الجنة قبل دخولها وان كانوا خلف الحجاب اذ (على الاعراف) وهو المكان المرتفع (رجال) كمل يفيضون على كل واحد ما يستحقه اذ (يعرفون كلا بسيماهم) أي بعلامتهم الدالة على قدر ما يستحقونه (و) تأثيرهم بالقول لذلك (نادوا) من يصير (أصحاب الجنة أن سلام عليكم) ليسلموا عن الخوف قبل دخولها اذ (لم يدخلوها وهم يطمعون) في دخولها اذ لم يسلبوا الانوار (و) لكن لا يخلون عن خوف سيما (اذا صرفت أبصارهم تلقاء) أي جهة (أصحاب النار قالوا) من شدة خوفهم (ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) هذا ما يقولون لاهل الجنة (و) أما قولهم لاهل النار فهو انه (نادى أصحاب الاعراف رجالا) من كبار أهل النار (يعرفونهم بسيماهم) التي تدل على أعيانهم وان تغيرت صورهم (قالوا ما أغنى عنكم جمعكم) للاموال التي تدفع بها الآفات (وما كنتم تستكبرون) من الاتباع الذين يستعان بهم في دفعها (أهؤلاء) الضعفاء من المؤمنين (الذين أقسمتم) انهم كما لا ينالهم الله برحمة منه في الدنيا بتكثير الاموال والاتباع (لا ينالهم الله برحمة) برفع درجاتهم في الآخرة فقد قيل لهم (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) خوف من أعطى الاموال والاتباع وحزنه في الدنيا (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) بعد ما أقسموا أنهم لا ينالهم الله برحمة متذللين لهم بعد التكبر عليهم (أن أفيضوا علينا) شيأ (من الماء) الذي رحمكم الله به ليسكن حرارة النار والعطش (أو) شيأ (مما رزقكم الله) من الاطعمة والفواكه (قالوا) ان افاضتهما لا تنفعكم (ان الله حرمهما على الكافرين) لانه أنعم عليهم في الدنيا فلم يشكروه فمنعهم نعمه في الآخرة وذلك لانه انما أنعم عليهم ليتدينوا بدينه في الاعتقادات والاعمال وهم (الذين اتخذوا دينهم) في الاعتقادات (لهوا) أي اشتغالا بغير الله (ولعبا) بتصوير الاصنام بصور أسمائه أو

أي ترجع تنكفس أي تستمر كما تنكفس الظباء في كنسها

* (باب الخاء المكسورة) *

(خطبة) أي تزويج (قوله عز وجل خلاف) مخالفة قال الله عز وجل أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أي يده اليمنى ورجله اليسرى يخالف بين قطعهما (قوله عز وجل فرح المخلفون

ملائكته أو أوليائه (و) مع ذلك لم يعملوا للآخرة اذ (غرتهم الحيوة الدنيا) فاذا لم يعملوا للآخرة (فاليوم ننساهم) أى نتركهم ترك المنسى فلا نرحمهم بما نرحم به من عمل للآخرة الكاشفة عن الاعتقادات والاعمال والامور الاخروية (كما نسوا لقاء يومهم هذا و) لا نقتصر عليه بل نجزيهم (ما كانوا بآياتنا) الدالة بالتحقيق على التنعيم والتعذيب الابديين (يجحدون و) لم يكن جحودهم لاشكال بقى عليهم بل والله (لقد جئناهم) من مقام عظمتنا (بكتاب) عظيم (فصلناه) بينا فيه الاعتقادات والاحكام والامور الاخروية تفصيلا مبينا (على علم) يقيني لكونه (هدى) باقامة الدلائل ورفع الشبه (ورحمة) تشير الى الامور الكشفية وهو نافع (لقوم يؤمنون) يفيدهم ما لا يتناهى من الفوائد (هل ينظرون) بعد هذا الكتاب (الا تأويله) أى ما يؤل اليه أمره اظهورا مما نطق به لكن لا يفيدهم ذلك الانتظار اليه لانه (يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه) أى تركوه ترك المنسى (من قبل) حين كان ينفعهم الذكر علما الآن انه (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى بما هو واقع من الاعتقادات والوعد والوعيد (فهل لنا من شفعاء) أن يكونوا (فيشفعوا لنا أو) هل (نرد) الى مكان العمل (فنعمل غير الذى كنا نعمل) من الجحود واللهو واللعب وأعمال الدنيا قال عز وجل كيف يردون اليها وقد خسروها بحيث لا ترجع اليهم فكأنهم (قد خسروا أنفسهم و) من أين يكون لهم وقد (ضل عنهم ما كانوا يفترون) من أن معبوديهم شفعاؤهم عند الله فان زعموا انا لا ننتظر تأويله بل نراه محالا واقامة الادلة عليه كاقامتها على خلاف الضروريات اذ كثرت الادوار السماوية ولم نسمع تحقق تأويل الكتاب فيما مضى من الادوار فان صح فيما يستقبل فيبعد قلب الشقى سعيدا وبالعكس فان حصل فكيف تدوم السعادة والشقاوة مع تبدل الادوار قيل لهم (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض) فلا يبعد عليه ابطال هذه الادوار وخلق دور يخالفها اذ ليست قديمة ولا مخلوقة فى يوم واحد بل (فى ستة أيام) لترتب ما فيها مما خلق الافلاك ثم الكواكب ثم العناصر ثم المعادن ثم النباتات ثم الحيوانات (ثم استوى على العرش) ليفيض عليها بواسطة الحركة اليومية وبهذه الحركة (يغشى الليل النهار) أى يجعل الليل ساترا للنهار فلا يبعد منه جعل السعيد شقيا وبهذه الحركة (يطلبه) أى النهار بعد الليل (حثيثا) أى سريعا اذ الحركة الخاصة بطيئة فلا يبعد منه جعل الشقى سعيدا (و) لا يبعد عليه ادامة السعادة والشقاوة لانه خلق (الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) لا تأثير لها بأنفسها فله أن يبطل ما أعطاها (ألا له الخلق والامر) فهو الذى خلقها وأمرها بالتأثير ولا يمتنع عليه شئ بواسطة تعويق من خلقه وأمره لانه (تبارك الله) أى تعاظم لانه (رب العالمين) وامتناع شئ عليه ينافى تلك العظمة والربوبية وكيف يترك الاسعاد والاشقاء الابديين وقد خلق ما خلق ليستدل به عليه فيعبد لكنه انما يعبد اذا علم انه يسعد العابد أبدا ويشقى التارك أبدا (ادعوا ربكم) اذ العبودية تقتضى التذلل فليكن دعاؤكم (تضرعا) أى تذللا (و) التذلل انما يتم بالاخلاص فليكن (خفية) لانه أقرب الى

بمقعدهم خلاف رسول الله) أى بعد رسول الله وكذلك قوله واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا أى بعدك (قوله تعالى خزى) أى هوان وخزى هلاك أيضا (قوله عز وجل خيفة) أى خوف (قوله عز وجل خلال الديار) أى بين الديار وخلال مخالة أيضا أى مصادقة كقوله لا بيع فيه ولا خلال وخلال السحاب وخلله واحد

الاخلاص و كيف تتركون دعاءه وهو تجاوز عن العبودية (انه لايحب المعتدين) ثم ترك دعائه من قلة مبالاته (و) هو يستلزم الافساد في الارض (لاتفسدوا في الارض بعد اصلاحها) على ألسنة الرسل (و) اذا عبدتم فلا تحجبوا فانه ينافي التذلل المطلوب منها بل خافوا التقصير (ادعوه خوفا و) لاتتركوا من الخوف عبادته بل ادعوه (طمعا) في تكميلها بفضله ولا يبعد منه ان كنتم محسنين تعبدونه كأنكم تروته (ان رحمت الله قريب من المحسنين و) كيف لاتقرب رحمته منهم والاحسان منشأ رياح المحبة التي اذا انتشرت فعمت أجزاء الحب حملت أوصاف المحبوب كأنها السحب الثقال بمياه الفيوض فساقتها الى من في بالمحبة كأنه البلد الميت فأنزلت به الفيوض فاخرجت بها ثمرات العلوم والاحوال والمقامات فتقرب رحمته من المحسن كطره واخراج الثمرات من البلد الميت مع انه لافعل له أصلا من الاحسان وانشاء الرياح اذ (هو الذي يرسل الرياح بشرا) يم الجوانب (بين يدي رحمته) أي المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه (حتى اذا أقلت) أي حملت (سحابا) ثقالا بالماء (ثقالا سقناه) مع أن طبعه الهبوط (لبلد ميت) قابل للحياة (فانزلنا به الماء) لخصيه بالنبات (فاخرجنا به من كل) أنواع (الثمرات) وكما أعدنا الثمرة الى حالها بعد تلفها بالكلية (كذلك نخرج الموتى) فلا يبعد منا احياء من مات بالفناء فينا أن نحصيه بالبقاء بنا (لعلكم تذكرون) من أحوال الثمرات أحوال الآخرة ومنها أحوال الحياة بالله من العبادة على نهج الاحسان (و) لايلزم اطراد ذلك في حق كل عابد لانهم يختلفون اختلاف الاراضي المنبتة اذ (البلد الطيب) تربته (يخرج نباته) عزيز النفع لابذاته بل (باذن ربه) أي بتيسيره (والذي خبث) كالحرة والسبخة (لايخرج) نباته (الا نكدا) عديم النفع (كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون) المواهب بعد مكاسبهم فلا ينسبونها اليها بل الى فضل الله عليهم (لقد أرسلنا) ارسال الرياح لامطار الشرائع لاحياء موتى القلوب واخراج النبات الطيب حسنا والخبيث نكدا (نوحا) هو ابن لمك بن متوشلخ ابن اخنوخ هو ادريس عليهما السلام (الى قومه) الذين له عليهم شفقة (فقال ياقوم) الذين حقهم أن يشاركوني في كمالاتي (اعبدوا الله) لتكملوا بكمالاته التي يفيضها عليكم هو لا غيره فانه (مالكم من الهغيره انى أخاف عليكم) ان تركتم عبادته أو عبدتم غيره (عذاب يوم عظيم) وصف بالعظمة لعظمة عذابه السالب للكمالات (قال الملأ) أي الاشراف (من قومه) من خبثهم الذي أمده شرفهم (انا لنراك) بأمرك بعبادة الله وتركك عبادة غيره وتخويف العذاب على تركك عبادة الله وعلى عبادة غيره (في ضلال مبين) اذ تأمرنا بعبادة ما لاندركه وتركك عبادة ما ندركه وتعدنا الكمال في عبادة من لاندركه والنقص في عبادة من ندركه وتعدنا العذاب العظيم الذي لم يحصل لاحد من آبائنا مع اصرارهم على مثل أفعالنا (قال ياقوم ليس بي ضلالة) أي شئ من الضلال فان المعبود يجب أن لايدركه العابد اذ المدرك محاط به وهو قاصر والمعبود يجب أن يكون له الكمال المطلق والارواح التي لاترى أكمل من الاجسام

والاعراض

الذي يخرج منه المطر

(قوله عز وجل خطأ كبيرا) انما عظيما يقال خطئ وأخطأ واحد اذا أثم وأخطأ اذا فاته الصواب

(قوله عز وجل خلفة) أي يخلف هذا هذا كقوله عز وجل جعل الليل والنهار خلفة أي اذا ذهب هذا جاء هذا كأنه يخلفه ويقال جعل الليل والنهار خلفة أي يخالف أحدهما صاحبه وقتا ولونا (قوله

والاعراض المرئية والمعبود يجب أن يكون أكمل من الارواح واست بوعد العذاب ضالا
(ولكنى رسول) والرسول لابد وأن يكون منذرا وقوعه ممكن لانه (من رب العالمين) ذى
العلم التام والقدرة التامة وانى فيه صادق لانى (أبلغكم رسالات ربى) فلا يكون خوارقى
الاتصديقا لها (و) لو لم يدل خوارقى على تصديقى لوجب عليكم قبول قولى لما علمتم انى (أنصح
لكم و) لو لم تعلموا نصحى لوجب عليكم قبوله لما علمتم أنى (أعلم) من الامور الغيبية التى يعلم
أنها لا تعلم الا بطريق الوحى (من الله مالا تعلمون أ) أنكرتم رسالتى (وعجبتم أن جاءكم ذكر)
أى موعظة (من ربكم) أى الذى ربا كم بوجوه التربية وهذا أكملها لكن لم ينزله عليكم
لئلا يلجئكم الى الايمان أو لقصوركم بل (على رجل) كامل وان كان (منكم) لا لاجائه
الى الايمان لسبق ايمانه بل (لينذركم) عن العذاب (و) لو لم يكن عذاب لوجب أن ينذركم
النقائص (لتتقوا) أى لتحفظوا عن النقائص (و) لا يقتصر فى حفظكم على التحفظ من
النقائص بل (لعلكم ترحمون) بافاضة الكمالات عليكم (فكذبوه) من خبثهم ونكادتهم
مع ظهور صدق هذه الكمالات فجئنا بالعذاب العام من الطوفان الذى هو مثال ما أنزل الله
عليهم من ماء الشرائع لما لم يشكروه جعل عذابا لهم (فأنجيناه والذين معه) ليدل على حقيتهم
وان كانوا (فى الفلك) اذ لا يبقى فى مثل ذلك الطوفان الا بطريق خرق العادة (وأغرقنا الذين
كذبوا بآياتنا) مع ظهورها لعماهم (انهم كانوا قوما عمين) فلم يستنيروا بنور الوحى الذى
هو كالشمس ولا بظهور الآيات ولا بآية الطوفان المغرق لهم بعد انذاره به على تكذيبهم
(و) أرسلنا ارسال الرياح للامطار (الى) بنى (عاد) هو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح
(أخاهم) لانه أنصح لهم (هودا) هو ابن عبد الله بن رياح بن الجلود بن عاد وقيل هو ابن شالخ
ابن أرفخشذ بن سام بن نوح (قال ياقوم) الذين حقهم أن يكونوا مثلى (اعبدوا الله) ليفيض
عليكم الكمالات التى بها حياة قلوبكم اذ ليس لغيره ذلك فانه (مالكم من اله غيره) يفيض
عليكم شيأ (أ) تتركون عبادته وتعبدون غيره (فلا تتقون) أن يسلبكم الكمالات ويمنعكم
فيضان ما يحيى قلوبكم (قال الملأ الذين) غلب خبثهم حتى (كفروا) مع كونهم (من
قومه) لا كمرثد بن سعد (انا لنراك) متمكنا (فى سفاهة) أى خفة عقل حيث فارقت دين كل
العقلاء (وانا) لو رأينا كمال عقلك ما اتبعناك أيضا فانا (لنظنك من الكاذبين) اذ يبعد أن
يرسل الله أحدا من أهل الارض اليهم (قال ياقوم ليس بى سفاهة) أى شئ منها اذ لم أفارق
العقلاء فى أمر الآخرة وان كانوا أعقل بأمور الدنيا ولست بسفيه بأمور الدنيا أيضا
(ولكنى) كامل العقل بأمور الدارين لانى (رسول من رب العالمين) لاصلاح أمر الدارين
لذلك (أبلغكم رسالات ربى) فى اصلاحهما (و) قد علمتم اصلاحى اذ (أنا لكم ناصح) أى مستمر
على النصح ولا مكر فى نصحى اذ علمتم أنى (أمين) أى مشهور بالامانة (أ) تظنون كذبى (وعجبتم
أن جاءكم ذكر) ما يذكركم الكمالات التى أودعها الله فى فطرتكم فأمكن اخراجها اخراج
الثمرات والنبات ولا يبعد لكونه (من ربكم) الذى ربا كم بالكمالات الدنيوية فلا يبعد منه

عز وجل الطيبة) أى الاختام
(قوله عز وجل ختامه
مسك) أى آخر طعمه
وعاقبته اذا شرب أى
يوجد فى آخره طعم المسك
ورائحته يقال للعطار اذا
استرى منه الطيب اجعل
خاتمه مسكا

(باب الدال المفتوحة)

(قوله عز وجل دابة) كل
ما يدب (قوله عز وجل
دأب آل فرعون) أى عادة

أن يربيكم بالكمالات الاخروية ولم يفوض اخراجها الى رأيكم لاحتجابه بالامور الدنيوية فانزله (على رجل) كامل كشف له عنها وان كان (منكم لينذركم) بطلان ما في فطرتكم وهو يفسد عليكم أمر الدارين (واذكروا) عند انذاري بفساد أمر الدارين عذاب قوم نوح (اذ جعلكم خلفاء) أي بدلا عنهم لكونكم (من بعد قوم نوح و) أنعم عليكم أكثر مما أنعم عليهم اذ (زادكم في الخلق بسطة) أي قامة وقوة فلو عذبكم لكان أشد مما عذبهم فان لم تخافوا العذاب (فاذكروا آلاء الله) لتخصصوه بالعبادة (لعلكم تفلحون) باستدامتها واستزادتها (قالوا أجئتنا) رسولا من الله (لنعبد الله وحده) على ان الهيته كافية للمهمات كلها (ونذر ما كان يعبد آباؤنا) لتوقعهم حصول بعض المهمات منهم فان كنت رسولا بتخويف العذاب على ترك تخصيصه بالعبادة (فأتنا) الآن (بما تعدنا) يوم القيامة (ان كنت من الصادقين) في أن الله يعذب يوم القيامة من لا يخصصه بالعبادة (قال قد وقع) أي نزل قبل القيامة (عليكم من ربكم) الذي ربا كم بكفاية المهمات كلها فنسبتم بعضها الى غيره وكذبتم من أرسل اليكم مخوفا فاستعجلتم العذاب (رجس) أي عذاب يرتجس أي يضطرب بكم فلا يقركم على ما أنتم عليه من الكمال كيف (و) قد وقع عليكم منه (غضب) لرؤيتكم نقصه في كفاية المهمات واشراككم معه من هو في غاية النقص في أعلى كمالاته التي هي الالهية (أتجادلونني) من غاية حبكم ونكادتكم (في) مسميات (أسماء) ليس فيها معانيها التي وضعت لها اللغة لكن (سميتموها أنتم وآباؤكم) بها على توهم معانيها فيها من غير دليل اذ (ما نزل الله بها من سلطان) أي دليل حسي ولا عقلي ولا نقلي ولا يتأخر ذلك الى مدة (فانتظروا) وقوعها عن قريب وليس ذلك مجرد تخويف بل (اني معكم من المنتظرين) فجاء منتظرهم بحيث لا ينجو منه بمجرى العادة أحد وجعل من قبيل الريح التي تتقدم الامطار لكفرهم برياح الارسال (فأنجيناه والذين معه) على خرق العادة (برحمة منا) ليدل على رحمتنا عليهم في الآخرة (و) قد دللنا على ان عذابهم للغضب عليهم الموجب لعذابهم في الآخرة أنا (قطعنا دابر القوم الذين كذبوا بآياتنا) أي استأصلناهم وعذاب الابتلاء لا يكون بطريق الاستئصال (و) قطعنا أيضا دابر المترددين الذين (ما كانوا مؤمنين) لان التردد مع الظهور تكذيب (و) أرسلنا ارسال الرياح الممطرة للاحياء (الى) بني (ثمود) هو ابن عابر بن ارم بن سام (أخاهم) لاهتمامه باحياء أمورهم واصلاحها (صالحا) هو ابن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود (قال يا قوم) الذين أحب حياتهم (اعبدوا الله) الذي يفيض عليكم الحياة لاستفاضة الحياة الابدية التي لا تحصل من غيره فانه (مالكم من اله غيره) يفيض عليكم حياة فضلا عن الابدية (قد جاءتكم بينة) أي دلالة (من ربكم) على افاضة الحياة اذ أفاضها على الجمادات (هذه ناقة الله لكم آية) التي خلقها لكم آية بافاضة الحياة على صخرة في الجبل

آل فرعون (قوله عز وجل درجات عند الله) الجنة درجات أي منازل بعضها فوق بعض (قوله عز وجل الدرك الاسفل من النار) النار دركات أي طبقات بعضها دون بعض وقال ابن مسعود الدرك الاسفل توابيت من حديد يصمد عليهم يعني انها لا أبواب لها (قوله عز وجل دابر القوم) آخر القوم

فصارت

فصارت حيوانا تأكل وتشرب (فذروها تأكل) عشبا (فى أرض الله) التى لا يملكها غيره فيكون له منعها من الاكل فيها (ولا تمسوها بسوء) فضلا عن قتلها اذا تأذت منها دوابكم (فيأخذكم) بدل أذية دوابكم (عذاب أليم) فى الدارين لجراءتكم على آيات الله بابطالها (واذكروا) افاضة الحياة الدنيوية عليكم لترجوا الحياة الاخروية منه (اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) لولم ترجوها لوجب عليكم شكره اذ (بوأكم) أى قرركم (فى الارض) أى الحجر (تتخذون من سهولها) أى مما تأخذون من سهولها من اللبن والآجر (قصورا) تبنونها فى السهول لتسكنوها أيام الصيف (وتنحتون) أى تشقون الارض من كونها (الجبال) لتصير (بيوتا) لتسكنوها أيام الشتاء (فاذكروا آلاء الله) لتصرفوها الى ما خلقها لاجله (و) أقل ما يجب فيها ان (لا تعثوا) أى لا تفسدوا فسادا ممتدا (فى الارض) بالاضلال حال كونكم (مفسدين) على أنفسكم أمورها بالضلال (قال الملأ) أى الاشراف لانهم (الذين استكبروا) عن الايمان بعد ظهور آية الناقة والكلمات الناصحة مع كونهم (من قومه) الذين عرفوا صدقه وأمانته من غاية خبثهم ونكادتهم (للذين استضعفوا) فلم يكن لهم استكبار يمنعهم من الانقياد (لمن آمن منهم) لا لمن كان من اتباعهم (أتعلمون) من آية الناقة ومن الكلمات الناصحة (أن صالحا مرسل) كأنه جاء (من) عند (ربه) أم آمنتم به نفاقا فلما طاعم تحصل منه (قالوا) علما ذلك فصدقناه فى جميع ما أوتى به (انا بما أرسل به) وان كان فيه ما لا يصل اليه عقولنا (مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به) أى بجميع ما آمنتم به من رسالته ورسالة غيره وان كان فيها ما هو أوضح من الشمس (كافرون) فأنكروا آية الناقة وكذبوه فى اصابة العذاب عن مسها بالسوء (فعقروا الناقة) أى عقر بعضهم برضا الباقين (وعتوا) أى استكبروا (عن أمر ربهم) بعبادته وحده ليتم لهم بذلك كفرهم (و) زادوا الاستهزاء بصالح حتى (قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا) على عقر الناقة (ان كنت من المرسلين) فان الله ينصر رسله على أعدائه (فأخذتهم الرجفة) أى الصيحة التى يحصل منها الزلزلة الشديدة بدل صوت الناقة عند عقرها وبدل حركتها عند نزع الروح (فأصبحوا فى دارهم) اى مكانهم (جاثمين) أى ساقطين على وجوههم ميتين بدل موت الناقة وسقوطها والصيحة والزلزلة من آثار الريح المرسلة التى كانت رحمة فانقلبت عذابا (فتولى) أى فاعرض (عنهم) صالح فلم يشفع لهم (وقال) فى الاعتذار (يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى) المتضمنة لتخويف العذاب عنه (و) لم تتضمن الضرر لكم اذ (نصحت لكم) فأمرتكم بكل خير ونهيتكم عن كل شر (ولكن) كرهتموه لانكم (لا تحبون الناصحين) من الرسل والانبياء والعلماء لخفة أفهامكم أو هيئتكم (و) أرسلنا ارسال الرياح للامطار (لوطا) هو ابن هاران أخى ابراهيم عليه السلام هاجر معه من بابل فنزل ابراهيم بفلسطين ولوط بالاردن فبعثه الله تعالى الى أهل سدوم لاحيائهم بابقاء نسلهم (اذ قال لقومه) الذين بعث اليهم فأحب

عز وجل دلاها يغرور) يقال لكل من ألقى انسانا فى بلية قد دلاه بغرور (قوله عز وجل دكا) أى مدكوكا يعنى مستويا مع وجه الارض ويقال ناقة دكاء وهى المترشة السنام فى ظهرها والمجبوبة السنام وأرض دكاء أى ملساء (قوله عز وجل ودرسوا ما فيه) أى قرؤا ما فيه (وقوله عز وجل وليقولوا درست) أى قرأت ودارست

حياتهم كانه أخوهم (أتأتون الفاحشة) أى الفعلة المتهية غاية القبح سابقين لها لانه (ماسبقكم بها من أحد من) الحيوانات فى (العالمين) فيكون لكم وزرها ووزر من عملها بعدكم (انكم) مع كونكم عقلاء (لتأتون الرجال) الذين خلقهم الله ليأتوا النساء لاليأتيهم الرجال (شهوة) مجردة عن الحرث (من دون النساء) أى مجاوزين عن مؤاتاة النساء وليس مقصودكم قضاء الشهوة لانقضائها بالنساء مع افادته النسل وان لم يقصد (بل أنتم قوم مسرفون) أى مجاوزون الحد فى كل باب (وما كان جواب قومه) فى مقابلة نصحه (الا أن قالوا اخرجوهم) أى لوطا والمؤمنين (من قريتكم) معللين بما يوجب تقريرهم مع توقيرهم وهو قولهم (انهم أناس يتطهرون) أى يبالغون فى الطهارة فيحترزون مواضع النجاسة فأخذوا لخبثهم ونكادتهم (فأنجيناه وأهله) لطيبهم (الا امرأته) لم ننجها لخبثها لذلك أمرناهم بالخروج دونها حتى (كانت من الغابرين) أى الباقين فى دورهم فأصابها ما أصابهم (و) هو أنا (أمطرنا عليهم مطرا) أى نوعا من المطر غير متعارف ولكفرهم بمطر الشرائع المحيى بابقاء النسل وغيره فانقلب عليهم فى صورة العقاب (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) كيف ينقلب عليهم نعم الله عند كفرهم بها نقما (و) أرسلنا ارسال الرياح للامطار للاحياء (الى) بنى (مدين) هو ابن ابراهيم (أخاهم) المحب كمالهم دينا ودنيا (شعيبا) هو ابن نوبة بن مدين أو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين أو ابن شيرون بن نويب بن مدين لتقويم حياتهم الاخروية والدنيوية اذ (قال ياقوم) الذين أحب كمال حياة دينهم ودنياهم (اعبدوا الله) ليحييكم بحياته الابدية التى لاتحصل من غيره لانه (مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة) على تلك الحياة (من ربكم) الذى ربا كم لتعبدوه فيربيكم بها وهى تحتمل باختلال الحياة الدنيوية التى هى مزرعتها (فأوفوا) للناس (الكيل والميزان) لتوفى لكم فوائد تلك الحياة (ولاتبخسوا الناس أشياءهم) بأخذ المكس والسرقة ونقص القيمة فانها كالنقص فى حياتهم المستلزم للنقص فى ذواتهم فيستلزم النقص فى حياتكم الاخروية المستلزمة للنقص فى ذواتكم (و) كيف لا وهو افساد فى المزرعة (لاتفسدوا فى الارض بعد اصلاحها) بوضع الكيل والوزن والحدود والاحكام (ذلكم) وان رأيتموه ضررا (خير لكم) فى الحال لتوجه الناس اليكم والمآل (ان كنتم مؤمنين) بان الله يكمل لمن كمل حكمته مانقص من جهة بجهات أخر ولا أقل من تكميل الجهة الاخروية (و) لكنه مختص بمن يسلك سبيله وانتم لاتسلكونه بل تمنعون عنه (لاتقعدوا بكل صراط توعدون) أى تخوفون الناس من سلوكه (وتصدون) أى تمنعون السالكين (عن سبيل الله) ان يبلغوا المنتهى لانكم تمنعون (من آمن به) ان يستمر على ايمانه كيف (و) لاتتركونها بحالها بل (تبغونها) أى تطلبون تغييرها التوقعوا فيها بالقاء الشبهات (عوجا) فهذا عنادمنكم مع الله (و) تعتمدون فى معاندته على كثرتكم

أى قارأت أى قرأت وقرئ علىك ودرست أى درست ونعلت ودرست أى درست هذه الاخبار التى تأتينا بها أى انمحت وذهبت وقد كان يتحدث بها (قوله عزوجل دار السلام) يعنى الجنة والسلام الله عزوجل وقيل دار السلامة (دوائر) دار السلامة صروفه التى تأتى الزمان مرة بخير ومرة بشر يعنى ما أحاط بالانسان منه

مع انه موجب للشكر (اذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم) بالعدد والعدد (و) لا تنظروا الى قوتكم وكثرتكم فى الحال بل (انظروا كيف كان عاقبة المفسدين) مع كثرتهم وقوتهم (و) لا تعتقدوا انكم مصلحون بكل حال بل (ان) اى انه (كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به) ليكونوا مصلحين به (وطائفة لم يؤمنوا) زاعمين انهم الباقون على الاصلاح (فاصبروا) عن الجزم باصلاح من لا يؤمن (حتى يحكم الله) فيفرق (بيننا) بنصر المحقين واهلاك المبطلين (وهو خير الحاكمين) فلا يعكس الامر (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) لا حاجة الى الصبر بل قد حكم الله اذ جعل لنا الغلبة عليكم وأعطانا القدرة على اخراجكم وتحويلكم الى الكفر (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن) الى ترك دعوى الرسالة والاقرار بها داخلين (فى ملتنا) ملة المشركين (قال أ) تجعلوننا فى ملتكم (ولو كنا كارهين) لها مع انه لا فائدة فى الاكراه لان دينكم ان كان حقا لم نكن بالاكراه منقادين له وان كان باطلا لم نكن بالاكراه متصفين به لانه بالحقيقة صفة القلب ولا يسرى اكراهكم اليه وكيف لا نكرهه وهو يستلزم غاية القبح والظلم (قد افترينا على الله كذبا) بأن له شريكا (ان عدنا) الى ترك دعوى الرسالة والاقرار بها لندخل (فى ملتكم) القائلة بأن له شريكا (بعد اذ نجانا الله منها) فأرانا انه كالانجاء من النار (وما يكون لنا أن نعود) عن دعوى الرسالة والاقرار بها فنصير (فيها الا أن يشاء الله ربنا) الذى ربينا بما علم من استعدادنا لانه (وسع ربنا كل شئ علما) فعلم كل استعداد كل واحد فى كل وقت لكن (على الله توكلنا) ليحفظنا عن المصير اليها (ربنا) ان قصدوا اكراهنا عليها أو اخراجنا من قريتهم (افتح بيننا وبين قومنا بالحق) فغلبنا عليهم (وأنت خير الفاتحين) فلا تغلب الظالمين وان كثروا على المظلومين اذا استفتحوك (وقال الملأ الذين كفروا من قومه) عند يأسهم عن مغالبة شعيب وقومه حتى خافوا على من بقى على الكفر ان يطمعوا به (لئن اتبعتم شعيبا) فأقل ما فيه من الضرر الخسران (انكم اذا لخاسرون) بفوات زوائد الكيل والميزان فهذا القدر كاف فى الفتح ليميزه بين الخاسر وغيره فأتاهم الله بالفتح الحقيقى (فأخذتهم الرجفة) أى الصيحة مع الزلزلة (فأصبحوا فى دارهم جاثمين) أى ساقطين ميتين لا ينتفعون برؤس أموالهم ولا بزوائدها بل (الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها) استأصلناهم كأنهم لم يقيموا بها بل (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) حياتهم التى بها الانتفاع بكل نافع (فتولى عنهم) أى فاعرض عن شفاعتهم والحزن عليهم (وقال) فى الاعتذار (يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت) بما يفيد (لكم) ربح الدارين ويمنعكم خسرانهما لكنكم كفرتم (فكيف آسى) أى أحزن (على قوم كافرين) فضلا عن ان أشتغل بشفاعتهم ثم أشار الى ان خسران الامم الهالكة لم يكن عن عدم التفاتهم لمجرد الاعلام القولى بل كان مع الاعلام الفعلى أيضا

(قوله عز وجل عليهم دائرة السوء) أى عليهم يدور من الدهر ما يسوءهم (قوله تعالى دعواهم فيها) أى دعاؤهم أى قولهم وكلامهم والدعوى الادعاء (قوله عز وجل دأبا) جدا فى الزراعة ومتابعة أى تدأبون دأبا والدأب الملازمة للشئ والعادة (قوله عز وجل داخرون) صاغرون أذلاء (قوله عز وجل دخلا بينكم) أى دغلا وخيانة (قوله عز

فقال (وما أرسلنا في قرية) من القرى (من نبي الا أخذنا) قبل الاهلاك الكلي (أهلها بالبأساء والضراء) أي الشدة والمرض بحيث يرجى تضرعهم (لعلهم يضرعون) أي يتذللون فيتركون التكبر (ثم) لما أصروا على التكبر أنعمنا عليهم مكرا بهم حتى (بدلنا مكان السيئة) أي الشدة والمرض (الحسنة) أي السعة والسلامة (حتى عفوا) أي كثروا عددا وعددا (وقالوا) لم يكن مس البأساء والضراء تصديقا لوعد الرسل بل هو مثل ما (قد مس آباءنا) الذين لم يأتهم الرسل (الضراء والسراء) احيانا ثم زال عنهم فازدادوا كفرا بعد الاعلام القولي والفعلي (فأخذناهم بغتة) اذ لم يفدهم الاعلام القولي والفعلي وليس المراد عدم ما يفيدهم اليقين بل أخذوا (وهم لا يشعرون) به بوجه من الوجوه (و) لم تكن هذه المؤاخذة الاخيرة فانه (لو أن أهل القرى) طابوا اعتقادا وعملا بأن (آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم) بدل الفتح بالعذاب (بركات) نازلة (من السماء و) نابتة من (الارض) ليخرج نباتهم طيبا باذن ربهم (ولكن) خبثوا اذ (كذبوا) فلم يخرج الا نكدا ففتحنا عليهم العذاب (فأخذناهم بما كانوا يكسبون أ) جهل أهل القرى هذه السنة الالهية في القرى الهالكة (فأمن أهل القرى) مكة وما حولها (أن يأتيهم بأسنا بياتا) أي ليلا (وهم نائمون) أي حال كمال الغفلة التي لا يرتفع حجابها بالانتباه (أ) أمنوا من ذلك (وأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) وقت غاية الظهور والانكشاف (وهم) غافلون عنه مع غاية ظهوره اذ (يلعبون أ) أمنوا ذلك كله (فأمنوا مكر الله) وهو أخذه العبد من حيث لا يحتسب (فلا يأمن مكر الله) مع كثرة ما رأى من أخذه العباد من حيث لا يحتسبون (الا القوم الخاسرون) عقولهم فصاروا خاسرين انسانيتهم بل أخس من البهائم (أ) أمنوا المكر (ولم يهد) أخذنا اللام الماضية بذنوبهم (للذين يرثون الارض من بعد أهلها) الماخوذين (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) كما أصبنا الموروث منهم نهم نهديهم بالبيان (ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون) البيان مع انه واجب السماع اذ (تلك القرى نقص) مع ظهور صدقنا (عليك) أي أيها الصادق بعضا (من أنبائها) مما يدل على مؤاخذتهم بذنوبهم لاصرارهم عليها بعد التنبيه (و) ذلك لانهم (لقد جاءتهم رسلهم بالبينات) يدعوتهم الى ما يزيلونها (فما) أزالوا أعظمها لانهم ما (كانوا ليؤمنوا) بعد مجيئهم بالدلائل القاطعة (بما كذبوا) به (من قبل) أي من قبل مجيئهم بها بل استمروا عليهم الحالتان لم يؤثر فيهم دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة لما طبع الله على قلوبهم (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر لمكادة أرضهم وخبثها (و) لذلك لو عاهدوا أن يؤمنوا عند آية مقترحة أو بلية منزلة لم يؤمنوا عندها بل (ما وجدنا لاكثرهم من عهد) في باب الايمان ولا غيره (وان) أي وانه (وجدنا أكثرهم لفاسقين) أي خارجين عن قواعد العقل والعدل فلذلك أخذناهم وقد وجد مثل فعلهم في هؤلاء فيخاف عليهم مثل ما جرى على أولئك (ثم) لم ينقطع منا ارسال الرسل كالرياح

المطرة

(وجل دركا) لما قاله كقوله لا تخاف دركا ولا تخشى (قوله عز وجل داحضة) أي باطلة زائلة وكذلك قوله عز وجل ليدحضوا به الحق أي ليزيلوا به الحق ويذهبوا به ودحض هو أي زال ويقال مكان دحض أي مزل فمزالق لا تثبت فيه قدم ولا حافر (الدهر) مر والسنين والايام (قوله عز وجل ديارا) أي أحدا ولا يتكلم

المطرة للاحياء فان طابوا اقتضاعليهم البركات والا الهلاك لذلك (بعثنا من بعدهم) أى بعد اهلاك أقوام الانبياء المذكورين الذين لم يكونوا ليؤمنوا وان عهدوا به لضرورة (موسى بآياتنا) المنسوبة الى عظمتنا مما يدل على عظم فيضنا عليه (الى فرعون وملائه) الذين هم كالبلد الخبيث لا يخرج عنهم نبات الايمان وان عهدوا به مرارا (فظلموا بها) اذ جعلوا ما هو سبب الاصلاح سبب الافساد وهو السحر افساد العقائد الخلق من غاية خبثهم (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) أفسد الله عليهم ملكهم وآتاه أعداءهم (وقال موسى) دفعا لافسادهم فيها ببيان كونها دلائل الصدق لظهورها على يدى الصادق (يا فرعون) أى يا ملك مصر الذى لا يقدر أحد ان يكذب عنده سيما بما يطل دعواه (انى رسول من رب العالمين) على انى لو لم أخف أحدا (حقيق) أى جدير مما علمت من حالى الاستقرار (على أن لا أقول على الله الا الحق) وقد دلت الآيات على حقيتى لانه (قد جئتكم ببينة) أى آية شهد على حقيتى بحيث يعلم بالضرورة انها (من ربكم) الذى ربا كم بالبينة وكيف لا يرسل عليك وقد تملكت عليه خواص عباده (فأرسل معى بنى اسرائيل قال) لانهم استقرار لك على صدقك بعد ما غبت عنا هذه المدة المديدة لكن (ان كنت جئت بآية) تدل على صدقك (فأت بها ان كنت من الصادقين) باقيا على ما عرفت منك (فألقى عصاه) التى هى جماد (فاذا هى) من غير سترة ومعالجة سبب (ثعبان) أى حية كبيرة فاضت عليه الحياة لتدل على فيضان الحياة العظيمة على يديه (مبين) اى ظاهر لا متخيل وكانت فى الصورة عظيمة الجثة بين لحييها ثمانون ذراعا وضع لحيها الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه الى فرعون فهرب وصاح يا موسى أنشدك بالذى أرسلك خذه وأنا أؤمن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا ثم قال فرعون هل لك آية أخرى قال نعم (و) ادخل يده فى جيبه ثم (نزع يده) من جيبه (فاذا هى بيضاء) يغلب شعاعها الشمس (للناظرين) من غير بياض فيها ليدل على انه يظهر على يديه شرائع تغلب أنوارها المعنوية الانوار الحسية ويتقوى بها الحياة بالله (قال الملأ) أى الاشراف الذين يكرهون شرف الغير عليهم سيما من جهة كونهم (من قوم فرعون) الذين على دين ملكهم فى التكبر لدفع آياته الظاهرة عن خواطر الخلق (ان هذا لساحر عليم) ماهر يبابه ولا يقتصر على دعوى الرسالة بل (يريد أن يخرجكم من أرضكم) بسحره ليتملك عليها فقال لهم فرعون (فماذا تأمرون) أى تشيرون اشارة لا أخالفكم فيها كما لا يخالف المأمور الآمر المطاع (قالوا أرجه وأخاه) أى أخر أمرهما ثلاثة تنسب الى الظلم الصريح المنافى لدعوى الالهية (وارسل فى المدائن) أى مدائن الصعيد من نواحى مصر شرطا (حاشرين) من فيها من السحرة اليك (يأتوك بكل ساحر عليم) ماهر فى باب السحر ليجتمعوا على مغالبتهما فحشروهم (وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا) على دفع العدو من ملكك (لاجرا) مثل أجر العسكر الكبير اذا غلبوا فتحصل لهم الغنائم وتعطيهم وراءها من عندك (ان كنا نحن الغالبين قال نعم) لكم ذلك الاجر

به الا فى الجد يقال ما فى الدار أحد ولا ديار (دبر) أى دبر الليل النهار اذا جاء خلفه وادبر أى ولى (قوله عز وجل دساها) أى بسطها (قوله عز وجل دساها) أى دسى نفسه أى أخفاها بالفجور والمعاصى الاصل دسسها فقلبت احدى السينين ياء كما قيل تظنيت والاصل تظننت (قال أبو عمر سئل عن هذا ثعلب وأنا أسمع فقال دس نفسه

(و) تزيدون عليهم بزيادة عظيمة (انكم لمن المقربين) الذين يحصل لهم ما لا يحصل للعسكر اذا غلبوا (قالوا يا موسى اما أن تلقى) أولا (واما أن نكون) بالقائنا أولا (نحن الملقين) دونك فانا اذا ألقينا تحيرت فلا يتأتى لك الالقاء (قال) بل (ألقوا) فانى لا أبالى لكم (فلما ألقوا سحروا أعين الناس) خيلوا اليها ما ليس فى الواقع (واسترهبوهم) أى وخوفوهم انه لا يمكن لموسى معارضتهم (و) ذلك لانهم (جاؤا بسحر عظيم) فوق ما يتعارف من السحرة اذ القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادى وركب بعضها بعضا (وأوحينا) لدفع ذلك السحر الذى لا يمكن معارضته بسحر آخر (الى موسى) الذى قصدوا مغالبته آمرين له (أن ألق عصاك) التى أعطيت الحياة الحقيقية لابطال وجود ما خيلوا فيه الحياة فألقاه (فاذا هى تلقف) أى تبتلع (ما يأفكون) أى يصرفونه من الجمادية الحقيقية الى الحيوانية التخييلية (فوقع الحق) أى ثبت الاعجاز (وبطل ما كانوا يعملون) لابطال الاعجاز (فغلبوا) أى فرعون وقومه (هنالك) أى فى مكان الموعد الذى اجتمع فيه أهل مملكته بدعوته لظنه غلبة السحرة (وانقلبوا) أى رجعوا الى أهلهم ليأسهم عن الغلبة مرة أخرى (صاغرين) أى ذليلين بعد ما خرجوا متكبرين بوهم الغلبة (و) قد ذل أكثر منهم من اراد التكبر بهم اذ (ألقى السحرة) على نهج الاضطرار (ساجدين) اذ قالوا حين لم يجدوا حيلة لهم وعصيهم لو كان سحر البقيت حبالنا وعصينا فحصلت لهم الحياة الابدية اذ (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) لا فرعون الزاعم أنا ربكم الاعلى فظهر كونهم كالبلد الطيب (قال فرعون) من غلبة الخبث عليه (آمنتم به) أى برب موسى وهرون (قبل أن آذن لكم) مع انى الهكم وأنتم عبيدى فليس لكم ان تؤمنوا باله آخر بغير اذنى وليس هذا غلبة موسى بالحقيقة بل (ان هذا) الصنع (لمكر) أى حيلة (مكرتموه) أى دبرتموه أنتم وموسى (فى المدينة) فى مصر قبل الخروج للميعاد (لتخرجوا منها أهلها) ليحصل لكم ملكها (فسوف تعلمون) عاقبة فعلكم الغدر على المملكة (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أى جانبين متخالفين (ثم لأصلبنكم أجمعين) كما يفعل بمن قصد الملك (قالوا) ان الذى تهددنا به هو الذى يقربنا الى من آمنا به (انا الى ربنا منقلبون) فيحيينا بحياة خير من الحياة الدنيوية (و) ما قصدنا الملك بل (ما تنقم) أى تنكر (منا الا أن آمنا بآيات ربنا) لا بطريق السماع من الغير بل بطريق المشاهدة (لما جاءتنا ربنا) اجعل لكون ايماننا حقيقيا يتبعنا الناس فيه آية (أفرغ) أى افض (علينا صبرا) يغمرنا (و) لا تغيرنا بالانتقام أو بشبهة أخرى عن الاسلام بل (توفنا مسلمين وقال الملأ من قوم فرعون) خوفا من انقلاب الخلائق عليهم حين رؤا السحرة يتحملون الشدائد من أجله (أتذر) أتترك (موسى وقومه) احياء (ليفسدوا فى الارض) أى فى أرض مملكتك بتغيير الناس عنك (ويذرك وآلهتك) أى ويترك كل أحد عبادتك وعبادة آلهتك التى أمرت

(فى الصالحين وليس منهم)
(قوله عز وجل دمدم عليهم ربهم) أى أرجف بهم الارض أى حركها فدقها عليهم وقيل فدقها قوى الامة بانزال العذاب بصغيرها وكبيرها بمعنى سوى بينهم

(باب الدال المضمومة)

(قوله عز وجل دلوك الشمس) ميلها وهو من عند

ان تعبد على انك ربها وربهم فأنت ربهم الاعلى (قال) انا وان تركناهم لئلا يقال عجزنا عن محاجتهم لا تمكن أحدا من موافقتهم (سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم) فيخاف من يوافقهم من ذلك وان لم يبال لنفسه (و) ان تحملوا ذلك فلا نبالي لهم (انا فوقهم قاهرون) نقهر كل من وافقهم (قال موسى لقومه) الذين قيل لهم هذا الكلام (استعينوا بالله) على دفع ما أرادوا (و) ان لم تعانوا (اصبروا) على الاسلام فلا تضيعوه للامور الدنيئة مع انها أيضا لله فان يعطيكم كما أعطاهم اياها (ان الارض لله يورثها) أي يعطيها واحدا بعد آخر (من يشاء) من صالح وطالح لكونهم (من عباده) فله ان يجعلها مزرعة للبعض وحجة على البعض (و) هو وان أعطاها بعض الطالحين فغلبوا على المتقين حينا لكن (العاقبة للمتقين قالوا) لم يبق فينا الصبر اذ طالت الاذية علينا اذ (أوذينا) بقتل الابناء واستحياء النساء (من قبل أن تأتينا) لئلا تخلق (ومن بعد ما جئتنا) لئلا تتبع (قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم) أي قرب رجاء ان يهلك ربكم عدوكم البالغين في اهلاك أوليائه (و) رجاء ان يفعل ما هو أشد عليهم وأنفع لكم وهو ان (يستخلفكم في الارض) اقامة لاوليائه مكان اعدائه والولاية والعداوة بحسب الاعمال (فينظر كيف تعملون) امثال اعمال الاولياء او الاعداء ثم أشار الى انه وان قرب اهلاك الاعداء فلم يهلكهم بمرة بل قدم لهم ما ينذرهم عنه فقال (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) أي بقطع المزارع سنين (ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون) انه بكفرهم الذي يوعدون عليه ما هو أشد من ذلك وأقل ما فيه التشاؤم بالكفر لكنهم لغاية خبثهم عكسوا الامر (فاذا جاءتهم الحسنة) أي السعة والخصب أو رد معها اذ الماضي لكثرتها فلا شك في وقوعها (قالوا لنا هذه) أي نحن مختصون باستحقاقها (وان تصبهم سيئة) أي جدب وبلاء أورد فيها ان والمضارع لندورها فهي كالمشكوك في وقوعها (يطيروا) أي يتشاءموا (بموسى ومن معه ألا انما طائرهم) أي شؤمهم كفرهم ومعاصيهم فانها أسباب الآفات (عند الله) لجريان سنته بافاضتها عندها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) فرأوا الشؤم الاتيان بالآيات أو متابعتها لكونها سحرا اتفق على شؤميته (و) لذلك (قالوا مهما) أي أي شئ (تأتنا به من آية) في زعمك وهي سحر في الواقع (لتسحرنا) أي لتسحرعقولنا (بها) فيشتبه الامر علينا (فما نحن لك بمؤمنين) فلم نأتهم بعض الآيات بل بآيات تتضمن البلبات التي تكاد تلجئ الى الايمان (فأرسلنا عليهم الطوفان) أي ما طاف بأماكنهم ودخل بيوتهم فقاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل المشتبكة ببيوتهم قطرة ماء فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا فنؤمن بك فكشف عنهم ونبت لهم من الكلا والزرع ما لم يعهد فنكثوا (و) أرسلنا عليهم (الجراد) فأكلت الزرع والثمار ثم أخذت تأكل السقوف والابواب والثياب ففزعوا اليه فخرجوا الى الصحراء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي فنكثوا (و) أرسلنا عليهم (القمل) أكلت البقية ووقعت في الاطعمة ودخلت بين أثوابهم وجلودهم فقصها ففزعوا اليه

زوالها الى ان تغيب يقال دلكت الشمس اذا مالت (قوله تعالى لدرى) مضى منسوب الى الدر في ضيائه وان كان الكوكب أكبر ضوأ من الدر ولكنه يفضل الكواكب بضيائه كما يفضل الدر سائر الحلي ودرى بلا همزة بمعنى درى وكسر أوله لاعلى وسطه وآخره ولانه يثقل عليهم

فكشف فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر (و) أرسلنا عليهم (الضفادع) بحيث لا يكشف طعام الا وجدت فيه وكانت تملأ مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهى تغلى وأفواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فأخذ عليهم العهود فدعا فكشف عنهم فنكثوا (و) أرسلنا عليهم (الدم) فصارت مياههم دما حتى كان القبطى والاسرائيلى يجتمعان على اناء فيصير ما يلى القبطى دما وما يلى الاسرائيلى ماء ويمص القبطى من فم الاسرائيلى فيصير فى فمه دما أرسل الله عليهم هذه البليات حال كونها (آيات مفصلات) فصل فى الابتلاء بها بين طائفتين عظيمتين من المحقين والمبطلين ولا يتأتى مثل ذلك فى السحر وكانت من حيث لا يشك عاقل فى انها من الله لكن لم ينقادوا لها (فاستكبروا) لا وجه لاستكبارهم سوى أنهم (كانوا قوما مجرمين) ومن مبالغتهم فى الجرم اخلافهم وعد الايمان الذى وعدوه عند الاضطرار (و) ذلك انهم (لما وقع عليهم الرجز) أى العذاب فى ضمن هذه الآيات (قالوا يا موسى ادع لنا ربك) الذى ربانا فأعطانا هذه الآيات (بما عهد عندك) من قبول دعوتك (لئن كشفت عنا الرجز) بدعائك (لنؤمنن) منقادين (لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل) الذين أرسلت لطلبهم (فلما كشفنا عنهم الرجز) لاداء ما بل (الى أجل هم بالغوه) ليتأملوا فيه اذ لا يتأتى مع الاضطرار (اذا هم ينكثون) أى يفاجؤن النكث من غير تأمل (فانتقمنا منهم) أى قصدنا تعذيبهم على الابد (فأغرقناهم فى اليم) أى البحر العميق اذ غرقوا فى بحر الكفر (بأنهم كذبوا بآياتنا) التى هى بحار أنوار الهداية فتكذيبها مغرق فى بحار الضلالة (و) يكفى فى غرق بحارها انهم (كانوا عنها غافلين و) أغرقنا معهم جاههم الذى آثروه على حياتهم اذ (أورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) بالاستعباد وقتل الابناء واستحياء النساء (مشارق الارض) أى أرض مصر (ومغاربها) وهى الشام (التى باركنا فيها) بالخصب وسعة العيش فحصل لهم الجاه والمال من غير تعب زيادة فى التقوية بدل التضعيف (وتمت كلمت ربك الحسنى) وهى قوله ونريد ان نمن الى قوله يحذرون (على بنى اسرائيل بما صبروا) على الايمان فى تلك الشدائد فظهروا ظهورا كليا (و) لم يبق لاعدائهم شئ من الظهور اذ (دمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) من الصنائع اللطيفة التى يبقى بها اسمهم (وما كانوا يعرشون) أى يرفعون بناءه كصرح هامان مما كانوا يذكرون به عن بعد ثم أشار الى أنهم مع تمام المحاسن لهم ظهرت قبائحهم فى ابتداء زوال ضعفهم وهو مجاوزة البحر اذ تغيرت قلوبهم بمجرد رؤية الاصنام فقال (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) الذى أغرق فيه أعداؤهم أرادوا الغرق فى بحر كفرهم (فأتوا على قوم يعكفون) أى يقيمون (على) عبادة (أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها) أى مثالا واحدا كالله تعالى نعبده فنتقرب به اليه (كما لهم آلهة) أى أمثلة مختلفة لاسمائه أشركوا الكثرتها ونحن نبقى على التوحيد لوحدته (قال انكم قوم تجهلون) يتجدد جهلكم كل حين (ان هؤلاء) وان اتخذوا أمثال أسمائه فلا يتم فيها التمثيل لانه (متبر) أى مكسر (ما هم فيه) أى فى عبادته لكونه حادثا وأسماؤه تعالى قديمة (و) لا ظهور

ضمة بعدها كسرة وياء وكما قالوا كرسى للكرسى ودرى مهموز فعيل من الصوم الدراري التي تذرأ أي تخط وتسير مندافعا يقال درأ الكوكب اذا تدافع منقضا قضا عف نوره ويقال تدارأ الرجلان اذا تدافعا ولا يجوز ان تضم الدال وتهمز لانه ليس فى الكلام فعيل ومثال درى فعلى منسوب الى الدر ويجوز درى بغير

لا لاهيته

لالهيته فيها لانه (باطل ما كانوا يعملون) لانه صدر من باطل فأنى يكون الها واجب الوجود الحق من كل وجه فكأنهم قالوا المثال لايجب أن يكون كالممثل من جميع الوجوه (قال) الظاهر في المظاهر ليس مثالا له لوجوب كونه قريبا من الممثل والظاهر في المظاهر في غاية البعد منه فهو أولى باسم الغير (أغير الله أبغيكم الها و) لم يجعله مظهرا كاملا وانما المظاهر الكاملة أنتم اذ (هو فضلكم على العالمين) فلو صحت عبادة المظاهر فحق الغير أن يكون عابدا لكم لامعبودا ثم انها انما تعبد لتشفع (و) لكن لاتحتاجون الى شفاعتها اذكروا (اذ أنجيناكم) بدون شفاعتها (من آل فرعون يسومونكم) يقصدونكم (سوء العذاب) الذى غايته أنهم كانوا (يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم) ليكون نسلكم منهن كفارا مثلهم (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) نجاكم عنه من غير شفاعة أحد ثم أشار الى أن ذلك انما كان لافراط خبث أنفسهم اذ لم يزكوها والنفس تحتاج اليها حتى ان موسى عليه السلام مع جلالة شأنه احتاج اليها فى استنزال الكتاب الذى وعد بنى اسرائيل بمصر أن يأتيهم به بعد مهلك فرعون فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك سأل ربه فأمره أن يصوم ثلاثين من ذى القعدة فلما أتم نكر خلوف فمه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فأمره الله أن يزيد عليها عشرا من ذى الحجة فقال (و واعدنا موسى ثلاثين ليلة) يقوم فيها بالصلاة ويصوم نهارها (و) لما أبطل خلوف فمه الذى يكره اليه نفسه ويحبب اليه ربه فيكون له طيب رائحة حب ربه (أتممناها بعشر فتم ميقات) مكالمة (ربه أربعين ليلة) ليرفع أربعين حجابا خرقت فى طينة آدم فسرت الى أبدان بنيه (وقال موسى) عند رؤية عجزه عن حفظ القوم بالغيبة قبل تمام التزكية الموجبة كون النفس متصرفة بربها فى كل مكان لكونها معه (لاخيه) القائم مقامه (هرون) الذى يشاركه فى النبوة (اخلفنى فى) حفظ (قومى) عن التغيير فى الدين (وأصلح) ما يغيرونه (و) ان لم يمكنك اصلاح مفسدتهم (لاتتبع سبيل المفسدين) بترك الانكار عليهم فانه بمنزلة اتباعك لهم ثم أشار الى أن تمام التزكية لايفيد رفع حجاب النفس بالكلية فقال (ولما جاء موسى لميقاتنا) فهو (و) ان كملت تزكيته بحيث (كلمه ربه) فسمع كلامه من جميع الجهات بجميع أجزائه (قال) قبل كمال استعداده لرؤيته بالخروج عن المكان والزمان (رب أرنى) ذاتك التى ليست من الاجسام والاعراض كما أسمعتنى كلامك الذى ليس من جنس الحروف والاصوات حتى (أنظر اليك قال لن ترانى) فى الحالة التى أنت عليها (ولكن انظر الى الجبل) حين أتجلى له بعد ما أعطيه الحياة والرؤية (فان استقر مكانه) عند التجلى أمكنك الاستقرار مع التجلى لك (فسوف ترانى) بعد استقرارك (فلما تجلى ربه للجبل جعله) التجلى (دكا) أى مندكا فلم يستقر مكانه (و) لاموسى بل (خر) أى وقع (موسى صعقا) أى مغشيا عليه من هول ما رأى (فلما أفاق قال سبحانك) من أن يستقر لرؤيتك من لم يخرج عن المكان والزمان (تبت اليك) من

همز يكون مخففا من المهموز (قوله عز وجل دحورا) أى ابعادا (قوله عز وجل دخان مبين) أى جدب ويقال انه الجدب والسنون التى دعا النبى صلى الله عليه وسلم فيها على مضر فكان الجائع يرى بينه وبين السماء دخانا من شدة الجوع ويقال بل قيل للجوع دخان ليس الارض وارتفاع الغبار فشبه ذلك بالدخان وربما

الاقدام على سؤال الرؤية قبل وقتها (وأنا أول المؤمنين) بانه لا يستقر لرؤيتك من بقي فيه مناسبة الحدثان بل لابد أن يتصف بما يناسب الصفات القديمة وذلك عند غلبة الروحانية في الآخرة (قال يا موسى) انك وان لم ترني فلست بقاصر (اني اصطفيتك) ففضلتك (على الناس) الذين ليسوا برسل (برسالاتي) التي هي نهاية مراتب كمالاتهم (و) فضلتك على كثير من الرسل (بكلامي فخذ ما آتيتك) فلا ترده بهذه الاسئلة السالبة لما أفضت عليك (وكن من الشاكرين) لتستوجب المزيد لعلك تستحق الرؤية التي هي زيادة على الحسنى (و) مما يزيد لموسى على الشكر انا (كتبنا له في الالواح) أي ألواح التوراة (من كل شئ موعظة) أي عبرة من رؤية كل شئ الى ما وراءها (و) هلم جرا الى ان ترى (تفصيلا لكل شئ) أي تعريفا يطلع على الحقائق لكن ذلك محتاج الى قوة الاستدلال في باب العلم والاجتهاد في باب العمل (فخذها بقوة) استدلالية واجتهادية (وامر قومك) الذين ليس لهم القوة (يأخذوا بأحسنها) أي عزائمها دون رخصها تحصيلا للقوة فاذا حصلت لكم القوة كشفت لكم عن الحقائق الاخروية وأولاها ما يحفظ عن شدائدها لكن (سأريكم دار الفاسقين) أي جهنم وهي وان كانت ظاهرة لمن نظر في الآيات لكن (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون) عليها مع كونهم (في الارض) التي هي أسفل السافلين (بغير) التقرب الى (الحق و) لكن بما يبعدهم عن الحق لانهم (ان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) تكبرا عليها فهو سبب البعد عنه (و) كيف لا يبعدون عنه وهم (ان يروا سبيل الرشد) المقرب اليه (لا يتخذوه سبيلا) لمنافاته أهويتهم (وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا) لتوسلهم به الى أهويتهم وليس ذلك لكون أهويتهم ألذ مما تضمنته الآيات بل (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا و) لتكذيبهم اياها (كانوا عنها غافلين) فلم يدركوا تلك اللذات التي يترك لها الاهوية كيف وانما يدرك لذاتها بالتصفية والتزكية الحاصلة من العمل بها خوفا من آلام الآخرة وطمعا في لذاتها (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم) فلا يكون لها أثر في التصفية والتزكية وليس الاحباط عليهم ظلما بل هو أيضا مقتضى عملهم التكذيب في كل حال (هل يجزون الا ما كانوا يعملون و) من المحبط للاعمال اتخاذهم العجل فانه (اتخذ قوم موسى) الذين لم يتخذوا بأحسنها فصرفوا عن آيات الله (من بعده) أي من بعد ذهابه للميقات المستنزل للكتاب المكمل لهم (من حليهم) أي من حلى كانت بأيديهم مستعارة من القبط (عجلا) أي صورة عجل فعبدوها مع كونها (جسدا) بلا روح وان كان (له خوار) أي صوت البقر فمع ظهور نقصه باعتبار حدوثه وعدم حياته الحقيقية اتخذوه الها اذ صرفوا عن آيات الله وحجه وعلى تقدير كمال حياته الحيوانية كان عاجزا عن الكلام (ألم يروا أنه لا يكلمهم و) على تقدير مكالمته لا يكون كلامه مفيدا اذ (لا يهديهم سبيلا) وعلى تقدير مكالمته وهدايته يكون قد (اتخذوه) الها من غير استحقاق لحدوثه فكان ظلما (و) لكن لم يقتصر ظلمهم على هذا الوجه بل (كانوا ظالمين)

وضعت العرب الدخان في موضع الشر اذا علا فقول كان بيننا أمر ارتفع له دخان (قوله تعالى دسر) مسامير واحدها دسار والدسار الشرط التي تسد بها السفينة (قوله عز وجل دولة بين الاغنياء منكم) يقال دولة ودولة لغتان ويقال الدولة بالضم في المال والدولة في الحرب بالفتح ويقال الدولة بالضم اسم الشئ الذي يتداول

بوجوه كثيرة (و) لكن هذه الوجوه مع كثرتها صارت مغفرة في حقهم اذ رجعوا الى الاخذ بأحسنها لانهم (لما سقط) أي ألقي الندم (في أيديهم) ايتصرفوا به في رد هذه الوجوه (و) ذلك حين (رأوا أنهم قد ضلوا) من هذه الوجوه الكثيرة (قالوا) في ردها (لئن لم يرحمنا ربنا) فيرينا بالتوبة (و يغفر لنا) مالا ندركه التوبة القاصرة منا (لنكونن من الخاسرين) أعمارهم وأعمالهم الصالحة (و) استرادهم موسى ندما فانه (لما رجع موسى الى قومه) الذين عبد بعضهم العجل ولم يشدد غيرهم عليهم الانكار (غضبان) لا بقصد اهلاكهم اذ كان (أسفا) أي حزينا عليهم (قال بئسما خلفتموني) أي بئس الحال التي صرتم عليها خلفي لما مع طول المدة بل (من بعدي) أي متصلا بذهابي (أعجلتم) أي أسبقتم الى عبادة العجل (أمر ربكم) بعبادته فقدمتم رأيكم على أمره (وألقى) من شدة الغضب وفرط لضجرة حمية للدين (الالواح) أي ألواح التوراة فانكسر منها ما كان فيها تفصيل لكل شئ وبقي ما فيه من المواعظ الاحكام (و) أفرط غضبه على أخيه حتى (أخذ برأس أخيه) أي بشعر رأسه (يجره اليه) تعزيرا له على ترك تشديد الانكار عليهم (قال) أخوه يا (ابن أم) أضافه اليها استعطافا (ان القوم) أي عبدة العجل (استضعفوني) فلم يبالوا بتشديد انكاري (وكادوا يقتلونني) أي قاربوا قتلي لو زدت على ما فعلت من تشديد الانكار عليهم فقد صاروا أعدائي بالمقدار الذي فعلته من الانكار عليهم (فلا تشمت بي) أي لا تفرح بأخذ رأسي وجري (الاعداء) فانهم يشمتون بي وان كان الغضب من ترك تشديد الانكار عليهم لان عداوتهم ذاتية لهم (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) في الغضب عليهم فضلا عن زيادة الغضب علي فلما علم عذر أخيه وسهوه في الاخذ برأسه وفي القاء الالواح (قال رب اغفر لي) ما سهوت (ولأخي) تقصيره في بذل وسعه على تشديد الانكار (وأدخلنا في رحمتك) بحيث لا نسهو ولا نقصر ولا يلحقنا بما سهونا غضب ولا ذلة (و) لا يبعد منك اذ (أنت أرحم الراحمين) ومع ذلك لا يغتر برحمته (ان الذين اتخذوا العجل) فانهم وان سقطت عقوبتهم في الآخرة من افراط رحمته (سينالهم غضب) لاجله يؤمر بعضهم بقتل بعض لكونه من جملة تربيتهم لكونه (من ربهم و) هذا يدل على أنه ليس بغضب حقيقي وانما هو (ذلة) اذ لم يبال بقتلهم كالبرغوث والقمل ولكن لا يسالي بتلك الذلة لكونها (في الحيوة الدنيا) كيف (و) لا بد من الاذلال في حق المفتري على الله ورسله اذ (كذلك نجزي المفترين) وقد افتروا على الله بأنه العجل وعلى موسى بأنه قصد ذلك العجل فنسي (و) ليس ذلك في الآخرة اذ غايته انه سيئة (الذين عملوا السيئات ثم تابوا) وان تراخت توبتهم فوقعت (من بعدها) بمدة مديدة (و) لا يكفي التوبة عن الافتراء على الله ورسله بل لا بد من تجديد الايمان كما لا يكفي الايمان بلا توبة فاذا (آمنوا) وتابوا (ان ربك من بعدها) أي بعد التوبة عن الافتراء مع الايمان (لغفور) في الآخرة ولا يقتصر على ذلك الغفران بل (رحيم) وان أنالهم غضبه واذلاله في الدنيا (و) كيف لا يؤثر فيهم هذه المعصية الكثيرة التي تعمدوا بها

بعينه والدولة بالفتح الفعل وقوله عز وجل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم كي لا يتداوله الاغنياء منكم (قوله تعالى دكت الارض دكا) أي دقت جبالها وأنشازها حتى استوت مع وجه الارض

* (باب الدال المكسورة) *

(قوله عز وجل دين يكون) على وجوه منها الدين ما يتدين به الرجل من الاسلام وغيره والدين

بنيل الغضب والذلة وقد أثر في موسى ما فعله سهوا فانه (لما سكت عن موسى الغضب أخذ الالواح و) لم يبق فيها تفصيل لكل شئ بل انما بقي (في نسختها هدى) أي الاعتقادات والاعمال (ورحمة) من المواعظ النافعة (للذين هم لربهم يرهبون) أي يخافون عقابه أو عذابه فأثر سهوه في نقص التوراة وان غفره ثم أشار الى أن لحوق الغضب في الدنيا لا يمنع الرحمة الاخروية كما لا يمنع الدنيوية سيما في حق الخيار فقال (واختار موسى) الذي اختاره الله لرسالته وكلامه (قومه) الذين يرجى لهم الرحمة الاخروية بعد نيل الغضب (سبعين رجلا) من اثني عشر سبطا عدد البروج من كل سبط ستة عدد ما ظهر منها الا اثنين اسقاطا للنظر الشرك لكون الاختيار (لميقاتنا) في المكالمة فأمرهم أن يتطهروا ويصوموا فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى أحاط به فدخل فيه موسى وأدخلهم معه فخروا سجدا فسمعوا الله يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا ان نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة (فلما أخذتهم الرجفة) أي الصاعقة التي يحصل منها الاضطراب الشديد (قال) موسى وهو يبكي ويقول ماذا أقول لبني اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای) من غير أن ينسب اهلاكهم الى شؤمي (أتهلكنا) بنسبة الشؤم الينا (بما فعل السفهاء) بترك الايمان بما سمعوا اذا منعوا الرؤية مع ان غايتهم انهم (منا) وقد منعنا الرؤية (ان هي) أي ليست هذه الفعلة منهم (الا فتنتك) أي ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك فطمعوا في رؤيتك ثم اجترؤا على ترك الايمان بما سمعوا منك بدون رؤيتك (تضل بها من تشاء) حتى لا يؤمنوا بما سمعوا بأنفسهم منك (وتهدي من تشاء) بمزيد الفهم لما سمعوا منك حتى يعبروا عن المنطوق الى ما وراءه والاصل هو الاهداء وانما الاضلال لمن تخذله لكن (أنت ولينا) فان أضللت مع ذلك أتباعنا (فاغفر) ذنوبهم بتبعيتهم (لنا وارحمنا) باحيائهم الدافع نسبة الشؤم الينا وكيف لا ترحمنا (وأنت خير الغافرين) بضم الرحمة الى المغفرة (واكتب) أي أثبت (لنا في هذه الدنيا حسنة) هي الثناء الحسن بدل نسبة الشؤم (وفي الآخرة) حسنة بثنائك وثناء خلائقك وليس طلبنا الثناء منهم لاجلهم بل (انا هدنا) أي رجعنا من كل ما سواك (اليك) فطلبنا الثناء منهم انما هو ليدل على القبول منك (قال) عز وجل لموسى صدقت في أني خير الغافرين اذ (عذابي أصيب به من أشاء) وهم بعض العصاة من عبادي (ورحمتي وسعت كل شئ) من العصاة والمطيعين فلا بد ان أضم الرحمة الى المغفرة في حق من أغفر له واذا كان من رحمتي نصيب للعصاة (فسأكتبها) أي أثبتها (للذين يتقون) المعاصي (ويؤتون) أنفسهم وغيرهم (الزكوة) أي الطهارة عن الاخلاق الذميمة (والذين هم بآياتنا يؤمنون) فيصححون الاعتقادات ويكملون في ذلك اذهم (الذين يتبعون الرسول) أي الذي أرسل الى الخلائق لتكميلهم لكونه (النبي) الذي نبئ بأكمل الاعتقادات والاعمال والاخلاق والاحوال والمقامات من جهة الوحي لكونه (الامي) لم يحصل علما من بشر فكان من المعجزات المؤيدة بتصديق الكتب السابقة

عليه

الطاعة والدين العادة والدين الجزاء والدين الحساب والدين السلطان (قوله عز وجل دف) ما استدفئ به من الاكسية والاخبية وغير ذلك (قوله تعالى الدهان) جمع دهن (قوله عز وجل دهاقا) متتابعة أي ملأى

* (باب الذال المفتوحة) *

(قوله عز وجل ذلول تثير الارض) يعني أنها قد ذللت للحرث (قوله عز وجل

عليه اذهو (الذى يجدونه) باسمه وصفاته (مكتوبا) كتابة لاريب لهم فيها لكونه (عندهم) لاعند خصومهم لافى كتاب واحد بل (فى التوراة والانجيل) وقد تأيد بعموم ارشاده اذ (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) فيفيدهم كل خير ويدفع عنهم كل شر (و) لايخل بذلك نسخه بعض الاحكام الفرعية اذ (يحل لهم الطيبات) التى حرمت عليهم لمعاصيهم (ويحرم عليهم الخبائث) وان كان فيها مالم يحرم عليهم اذلم يعتنبهم فى رفع أنواع الخبث عنهم هذا فى باب المأكولات (و) فى العبادات (يضع عنهم اصرهم) أى التكاليف الشاقة عليهم كقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة (والاغلال التى كانت عليهم) أى الشرائط التى كانت تمنعهم من النشاط فى العبادة فاذا وجبت الرحمة لمؤمنى الامم السابقة دون اتباعه (فالذين آمنوا به و) لم يستهينوه بالنسخ بل (عزروه) أى عظموه بتخصيصه بالكمالات فى كل باب وان كان فيها الرخص (ونصروه) برفع الشبه عن دينه وبيان كمالات نواسخه وان كان فيها رخص (و) لم يأخذوا فيها بالشبه بل (اتبعوا النور الذى أنزل معه) فاخذوا منه مايدل على كمالات نواسخه مما هو من الدلائل العقلية المؤيدة بالاعجاز (أولئك هم المفلحون) أى الفائزون بكمال تلك الرحمة بل لارحمة على من خالفه وان اتبع تلك الكتب فان زعموا أن النبى الامى صلى الله عليه وسلم انما هو مبعوث الى الاميين لما فى بعض الكتب السابقة انى باعث أميا فى الاميين (قل) لاثنائى ذلك عموم البعث (يا أيها الناس) أى يامن نسى عموم مبعثى المذكور فى نصوص أخر يكفيكم فيه بعد اعترافكم بنبوتى أن أقول (انى رسول الله اليكم جميعا) ولايبعد عموم البعث على الله اذهو (الذى له ملك السموات والارض) اذ (لااله الاهو) ولايبعد عليه نسخ أحكامه وان كانت قديمة لورود ه على تعلقها فله أن يحدث تعلقا بحكم وينفى تعلق الآخر كما أنه (يحيى ويميت) واذا كان له الاحياء والاماتة كانت له الاثابة والمعاقبة (فآمنوا بالله و) هو انما يتم بمعرفته وأتمها باجابة أكمل رسله فلابد من تصديق (رسوله النبى الامى) أى الذى نبئ مايرشد الخلائق كلهم مع كونه أميا ويدل على عموم اتباعه انه (الذى يؤمن بالله وكلماته) المنزلة فى كتبه على نهج التفصيل (و) اذا كان له عموم الاتباع فأقل مافى متابعته أنه يرجى منها الاهتداء (اتبعوه لعلكم تهتدون) فان قيل لو رجى فى متابعته الاهتداء لتسارع اليه أهل الكتاب يقال (ومن قوم موسى) المنسوبين اليه بالحقيقة (أمة) يهتدون به بل (يهدون بالحق) أى بالدين الثابت الذى لاينسخ مع كونه ناسخا لما فى كتابهم (و) انما كان ناسخا لكونه أعدل فهم (به يعدلون و) لايضر اختلافهم فيه لانه عادتهم القديمة اذ (قطعناهم) فى عهد موسى (اثنتى عشرة اسباطا) عددا ولاديعقوب اذمع رجوعهم الى أصل واحد صاروا (أمما) مختلفة (و) من افراطهم فيه لم يجتمعوا على ماء واحد لذلك (أوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر) لاخراج الماء منه اخراج الشئ من ضده على خرق العادة ليكون آية داعية الى الاتفاق لكنه لما امتنع بالذات جعل آية على الاختلاف (فانبجست منه اثنتا عشرة عينا) ليختص كل سبط بعينه وبولغ فى

ذكيتم) أى قطعتم أوداجه وأنهرتم دمه وذكرتم اسم الله عليه اذا ذبحتموه وأصل الذكاة فى اللغة تمام الشئ من ذلك ذكاء السن أى تمام السن أى النهاية فى الشباب والذكاء فى الفهم أن يكون فهما تاما سريع القبول وذكيت النار اذا أتممت اشعالها وقوله عز وجل الا ماذكيتم أى ماأدركتم ذبحه على التمام (قال أبو عمر وسألت المبرد عن قوله الا ماذكيتم

قطع النزاع لو خيروا (قد علم كل أناس) من سبط (مشربهم) على التعيين من أول الامر بل لا يعدمهم الاجتماع على الكفر كما اجتمعوا على كفران النعم (و) ذلك انا (ظللنا عليهم الغمام) لئلا يضيق صبرهم في التيه من افراط ما يصيبهم من حرارة الشمس (وأنزلنا عليهم المن) وهو الترنجبين (والسلوى) وهو السمانى لئلا يضيق عليهم الصبر بعدم الترفه في الطعام ولم يكن انزالهما بطريق الابتلاء بمنع الاكل بل قلنا لهم (كلوا من طيبات) أي لذيذات (ما رزقناكم) فقالوا لن نصبر على طعام واحد وكذلك أنعمنا عليهم بهذا الرسول فجعلناه عليهم ظلا وأفعاله وأقواله الطيبة بمنزلة المن والسلوى (وما ظلمونا) بمنع انعامنا وظهور ديننا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بمنع الانعام والدين المستقيم عليها (و) مما يدل على افراط ظلمهم انهم (اذ قيل لهم) لما لم يصبروا على طعام واحد (اسكنوا هذه القرية) أي أريحا أو بيت المقدس (وكلوا منها) أجناس الاطعمة (حيث) أي من أي مكان (شئتم وقولوا) سؤالنا (حطة) أي اسقاط الخطيآت الناشئة من أكل أطعمة متفرقة تدعو الى أهوية مختلفة (وادخلوا الباب سجدا) أي متذللين ليكون مانعا من استكباركم (نغفر لكم خطيآتكم) بما ذكر وغيرها وان شكرتم ونظرتم الى المنعم (سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم) أي اعتادوا الظلم (قولا) هو حطا سمقاثا أي حنطة حمراء وهو وان قارب المأمور لفظا كان (غير الذي قيل لهم) في المعنى وهو مع المشابهة اللفظية بصير عين الاستهزاء (فأرسلنا عليهم رجزا) أي عذابا (من السماء) لا بهذا الامر وحده بل (بما كانوا يظلمون) وتفارق هذه الآية آية البقرة بنون التعظيم ثمت لعظم التكليف بدخول قرية العدو بخلاف السكون بعده وبالقاء لان الاكل يكون عقب الدخول لا السكون وبرغدا لان الاكل عقب الدخول لا يتسع اتساعه حال السكون وبتقديم الدخول ثمت لان الدعاء يقتضي سبق التذلل وتأخيره هنا لانه يقتضي استدامته الى الاستجابة والواو ثمت تشير الى الجمع بين المغفرة والزيادة وحذفها هنا يجعل الزيادة دليل المغفرة والانزال ثمت يدل على الشدة والارسال هنا يدل على الكثرة ويفسقون ثمت يشير الى أن ظلمهم كان ناشئا من فسقهم السابق (واسئلهم) اعتراضا عليهم اذ نقضوا ظلمهم (عن القرية التي كانت حاضرة البحر) أي قريبة منه ايلة أو طبرية الشام أو مدين (اذ يعدون) حد الله في أدنى الاشياء وهي الحيتان حتى انتهوا الى الكفر (في السبت) الذي أمروا بتعظيمه فابتلوا بتحريم الصيد فيه (اذ تأتيهم حيتانهم) التي آثروها على أمر الله (يوم سبتهم) الذي اختاروه على الجمعة (شرعا) أي متتابعة (و) ضاق عليهم الصبر على تركها لانه (يوم لا يسبتون لا تأتيهم) أصلا الى السبت المقبل فقال لهم الشيطان انما نهيتم عن الاخذ فاتخذوا حياضا وشبكات وساقوا اليها الحيتان يوم السبت ثم صادوها يوم الاحد ففعلوا ذلك مدة ثم اجترؤا على السبت وقالوا ما نراه الا وقد أحل لنا ولم يعلموا أنه (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) فان الله يبتلي الفاسق بما يزيده فسقا ليزيده عذابا فصار أهل القرية فرقا فرقة عملت وفرقة سكتت وفرقة نهت (و) ألحقت الساكتة بالفاعلة في الكفر (اذ قالت أمة منهم) هي الساكتة

فقال أي ما خلصتم بفعلكم من الموت الى الحياة فسأله الهدهد وأنا أسمع عن قولهم فلان ذكي القلب فقال مخلص من الآفات والبلاء وكذلك ذكيت النار اذا أخرجتها من باب الخمود الى باب الاشتعال بالوقود قال ابن خالويه سألت أبا عمر عن معنى أنهرت فقال أسلت ومنه قول ابن عباس أنهر الدم بما شئت بقالية أو بخارأ أو بمروة قال القالية القصبة

منكرين على الناهين نهيهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم) بالكلية فى الآخرة (أو معذبهم) فى الدنيا (عذابا شديدا قالوا) نهينا (معذرة الى ربكم) الذى أمر بالنهى عن المنكر (و) لو لم يأمر بذلك لكان أولى أيضا اذ (لعلهم يتقون) فيتوبون فينجون عن الاهلاك الكلى أو التعذيب الشديد فلم يقال لقولهم الساكتون كما لم يقال لهم الفاعلون (فلما نسوا) أى الفاعلون والساكتون (ما ذكروا به) أى ما وعظهم الناهون (أنجينا الذين ينهون عن السوء) لخلوهم عن معصية الفعل وترك النهى (وأخذنا الذين ظلموا) بالفعل أو بترك النهى (بعذاب بئيس) أى مذموم (بما كانوا يفسقون) بفعل المنهى أو ترك الواجب ولم تكن مؤاخذتهم بمجرد التعدى المذكور بل باستباحة ذلك لاستلزامها الكفر (فلما عتوا) أى تكبروا فتباعدوا (عن ما نهوا عنه) حتى كفروا (قلنا لهم) أى للفاعلين والساكتين على لسان داود (كونوا قردة خاسئين) أى صاغرين لاستصغار ما أمره الله واستقباحكم ما استحسنه الله قيل كره الناهون مساكنة الفريقين فقسموا القرية بجدار فيه باب فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم أحد من الفريقين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسابهم لكن القردة تعرفهم فجعلت تأتى انسابها وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث فلو قالوا انه مختص بطائفة لم يكن منها أحد ولسنا على حالهم رد عليهم بأنهم لو لم يكونوا مثلهم لم يذلوا اذلالهم (و) لكنهم أذلوا اذلالهم (اذ تأذن ربك) أى عزم لان العازم على الشئ يؤذن نفسه بفعله وأجرى مجرى فعل القسم لذلك أجيب بجوابه (ليبعثن) أى ليسلطن (عليهم) لا بطريق الابتلاء لامتداده (الى يوم القيامة من يسومهم) أى يزيدهم (سوء العذاب) فبعث عليهم بعد سليمان بختنصر فخرب ديارهم وسبى ذراريهم ونساءهم وضرب الجزية على من بقى منهم فكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقاتلهم وأجلاهم ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة عليهم الى يوم القيامة جازاهم الله بذلك قبل يوم القيامة مسارعة الى عقابهم (ان ربك لسريع العقاب و) لكن لم يعاقبهم معاقبة أخروية لئلا تكون ملجئة لهم الى الايمان فسترعليهم (انه لغفور) كيف وقد استوجبوا باعترافهم نصيبا من رحمته وهو (رحيم و) لكن لا يغفر لجميعهم ولا يرحمهم يوم القيامة اذ (قطعناهم) أى فرقناهم (فى الارض) التى هى مزرعة الغفران والرحمة فى الآخرة فصاروا (أمما) مختلفة تستوجب اختلاف الجزاء اذ (منهم الصالحون ومنهم دون ذلك) أى من ينحط عن درجة الصلاح لكفر أو فسق (و) دللنا لهم على اختلاف الجزاء اذ (بلوناهم بالحسنات والسيئات) التى هى أمثلة جزاء الصلاح والفسق (لعلهم يرجعون) عن أسباب السيئات الى الحسنات والاختلاف انما كان فيهم فى قرن يلى قرن موسى عليه السلام مع طراءة الوحى اما الآن (فخلف من بعدهم خلف) أى جاء من بعد قرنهم قرن (ورثوا الكتاب) من المختلفين لكنهم اتفقوا على استبدال الكتاب بأدنى الاعراض اذ (يأخذون عرض هذا الادنى) أى الامر الذى لا يستقر مع كونه من هذا الادنى بدل الكتاب فيحرفون كلمة حكمه من أجله

الحادة وانظار شجر والمروة حجر أبيض مفلطح خشن فكذلك ثعلب عن ابن الاعرابى (قوله عز وجل ذات الصدور) حاجة الصدور (قوله جل اسمه ذا الكفل) لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح عند موته وقيل تكفل لنبى بقومه أن يقضى بينهم بالحق ففعل فسمى ذا الكفل (قوله عز وجل ذا النون) هو يونس عليه السلام لابتلاع النون

ويزعمون أنه حكم الله فى كتابه (ويقولون) بطريق التحكم على الله (سيغفرلنا وان) لا يستغفرون بل (ان يأتهم عرض مثله) فضلا عن الاعلى (يأخذوه) بدلا عن الكتاب وكيف يتأتى لهم هذا التحكم على الله مع نقضهم ميثاقه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) أى ميثاق الله فى كتابه (أن لا يقولوا على الله الا الحق) فلو صح ما تحكموا به على الله لم يكن لاخذ هذا الميثاق معنى (و) ليس أخذهم عن جهلهم بذلك الميثاق اذ (درسوا ما فيه و) لا يكون العرض خيرا من ثواب الآخرة عندهم اذ (الدار الآخرة خير) فى نصوص كتابهم (للذين يتقون) أخذ هذا الادنى بدل الكتاب وغير ذلك (أ) يأخذون هذا الادنى العارض بدل الخير الباقى (فلا تعقلون) كيف (و) لا يمنع ذلك الخير من هذا الادنى اذ (الذين يمسكون بالكتاب) يقومون بصالح الخلق فلا بد وأن يقوم الله بصالحهم كيف وقد قام بصالح من أقام الصلاة (و) المتمسكون بالكتاب (أقاموا الصلوة) التى قال الله تعالى فيها وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك كيف والرزق الدنيوى من جملة الاجور على الاصلاح العام فلا يضيعه الله (انا لا نضيع أجر المصلحين و) لا يعد نقضهم ميثاق الكتاب لكراهتهم اياه أولا فاذكر (اذ نتقنا) أى قلعنا (الجبل) فجعلناه (فوقهم كأنه ظلة) أى سحابة (و) هم وان رأوا فيه قوة الصعود (ظنوا) لثقله الموجب للنزول (أنه واقع) أى ساقط لا محالة (بهم) لو لم يأخذوا بأحكام التوراة اذ قلنا لهم (خذوا ما آتيناكم) من أحكام التوراة (بقوة) أى عزيمة على تحمل مشاقها (و) ان أبت نفوسكم تحملها (اذكروا ما فيه) من المعاقبة على تركه ومع ذلك لا يجزم بتقواكم بل غايتكم انكم (لعلكم تتقون و) لا يعد منهم نقض الميثاق الذى وقع بعد الحجاب وقد نقضوا ما وقع قبل الحجاب فاذكر (اذ أخذ ربك من) آدم من ظهره ذريته ثم من (بنى آدم) على ترتيب وجودهم (من ظهورهم ذريتهم) بجعلهم احياء عقلاء (وأشهدهم على أنفسهم) باقرار ربوبيته وتوحيده اذ قال لهم (ألست بربكم) الذى لا اشارك فيه (قالوا بلى) أنت ربنا لا رب لنا غيرك ولا نقتصر فيه على الالسن بل (شهدنا) به عن مواطاة القلوب فاخذ بذلك ميثاقهم كراهة (ان تقولوا يوم القيامة) الذى يسئل فيه عن الربوبية والتوحيد (انا كنا عن هذا) أى عن ربوبيته وتوحيده (غافلين) فى أصل الفطرة فلم يؤثر فينا العقول ولا اقوال الرسل (أو تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل) فكان لهم السبق المانع من تأثير اللاحق من أدلة العقل والنقل (و) هذا السبق وان لم يكن فينا (كنا ذرية) لهم حاملة لاسرارهم مع كوننا (من بعدهم) نتعلم منهم ما هم عليه فابطلوا علينا تأثير العقول وأقوال الرسل (أ) تأخذنا بفعل الغير (فتهلكنا بما فعل المبطلون) تأثير العقول وأقوال الرسل فازلنا الشبهتين بان الاقرار بالربوبية والتوحيد كان فى أصل فطرتكم فلم ترجعوا اليه عند دعوة العقول والرسل (و) كما فصلنا هذا الامر (كذلك نفصل الآيات و) لم تنته الى حد الالجاء بل نجعلها

بحيث

اياه فى البحر والنون السمكة وجمعه نينان (قوله عز وجل ذراكم) أى خلقكم وكذلك ذرأنا لجهنم أى خلقنا لجهنم (قوله عز وجل ذنوبا) أى نصيبا وأصل الذنوب الدلو العظيمة ولا يقال لها ذنوب الا وفيها ماء وكانوا يستقون فيكون لكل واحد ذنوب فجعل الله الذنوب فى موضع النصيب (قوله عز وجل ذرعها سبعون ذراعا) أى طولها اذا ذرعت

بحيث (لعلهم يرجعون) الى الفطرة السابقة (و) ان زعموا انهم آخذون بوثيقه لكونهم تالين لآياته (اتل عليهم نبأ) بالعم بن باعوراء (الذى آتيناه آياتنا) علم الكتاب واسم الله الاعظم فكان مجاب الدعوة (فانسلخ منها) أى خرج منها خروج الحية من جلدها (فاتبعه الشيطان) أى جعله تابعا فى تعليم الحيل المفسدة (فكان) بعد ايتاء تلك الآيات (من الغاوين) الذين لا يرجى هدايتهم (و) كانت الآيات بحيث (لو شئنا لرفعناه بها) بحيث لا يناله الشيطان (ولكنه) نزلناه اذ لم يال لجانبنا وهو جانب موسى والمؤمنين بل (اخلد) أى مال ميلا مؤبدا (الى الارض) أى عالم السفل (و) منعناه فى المنام اذ وامرنا فلم يتبع منعنا بل (اتبع هواه) لما أهدوا اليه فاحبهم وذلك انه كان يسكن ببلاد العمالقة فقصدهم موسى فأتوه ليدعوا عليه فأبى فالحوا عليه فقال حتى أوامر ربى فوامره فنهى فى المنام فقال وامرت فنهيت فاهدوا اليه هدية فقبلها ثم راجعوه فقال حتى اوامر فوامر فلم يجئ له نهى فقالوا لو كره ربك لنهاك كما نهاك فى المرة الاولى فجعل لا يدعو عليه بشئ الا صرف الله لسانه الى قومه ولا يدعو لهم الا صرف الى موسى فقالوا أتدرى ما تصنع فقال هذا ما أملكه فاندلع لسانه على صدره فقال قد ذهبت منا الدنيا والآخرة فلم يبق الا الحيلة فزينوا النساء واعطوهن السلع وارسلوهن الى عسكر موسى ومروهن ان لا تمتنع امرأة ممن أرادها فاذا زنى أحدهم كفيتموهم فادخل رجل منهم امرأة فى قبة فوقع عليها فارسل عليهم الطاعون مات منه فى ساعة سبعون ألفا فدعا موسى فاخبر فأمر بقتلهما فارتفع واذا اندلع لسانه بعد ما مال الى الهوى ميل الاحمق الذى قربه السلطان الى عظم عند كلب (فمثله كمثل الكلب) لانه استوى فى حقه ايتاء الآيات والتكليف بها والتعظيم من أجلها وعدم ذلك كالكلب يدلع لسانه بكل حال لانه (ان تحمل عليه) حملا ثقيلا (يلهث) أى يدلع لسانه عن النفس الشديد (أو تتركه) خاليا عن الاعمال (يلهث) وليس ذلك مثلهم لاخذهم بآيات التوراة بل (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) من التوراة أو غيرها اذ هم كالكلب باهويتهم الفاسدة لم يتطهروا بالآيات المطهرة فان أنكروا انسلاخهم منها (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) فيعلمون ان قصتهم مثل قصته فيخافون مثل حاله لانفسهم كيف وهى حالة شنيعة اذ (ساء مثلا) ما مثل به (القوم الذين كذبوا بآياتنا) فانهم يصورون يوم القيامة بصور الكلاب (و) لم يظلمهم الله بسلب انسانيتهم بل (أنفسهم كانوا يظلمون) بابطال الانسانية عليها وانما سلبت انسانيتهم مع ان الآيات لتكميلها لانها ليست هادية بانفسها بل (من يهد الله) لتحصيل الكمالات (فهو المهتدى) لها بتلك الآيات (ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون) لما عندهم من الكمالات فضلا عن تحصيل ما ليس عندهم وراء كمالاتهم ثم أشار الى ان خسرانهم الكمالات لخسرانهم أسباب تحصيلها وعدم كون الآيات هادية لهم مع انها انما انزلت للهداية لفقدانهم أسباب الاهتداء بها فقال (ولقد ذرأنا) أى خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن

(باب الذال المضمومة)

(قوله عز وجل ذلل) جمع ذلول وهو السهل اللين الذى ليس بصعب (قوله عز وجل فاسلكى سبل ربك ذللا) أى منقادة بالتسخير (قوله عز وجل ذريته) أى أولاد أولاد وأولاد قال بعض النحويين ذرية تقديرها فعليه من

والانس) الذين شأنهم تحصيل الكمالات وحفظها والاهتداء اليها لما فيهم من الفهم والسمع والبصر (لهم قلوب لا يفقهون بها) آيات الله الهادية الى الكمالات وحفظها (ولهم أعين لا يبصرون بها) المعجزات الفعلية (ولهم آذان لا يسمعون بها) المعجزات القولية (أولئك) فى تحقق القلوب والاعين والآذان لهم (كالانعام) التى لا تحصل بها الكمالات الحقيقية ولا تدفع النقائص الحقيقية وانما تجر بها المنافع الدنيوية وتدفع بها المضار الدنيوية (بل هم أضل) اذ ليس للانعام قوة تحصيل تلك الكمالات ودفع تلك النقائص وهم قد خلوا عنها وعن دفع اضدادها مع ما لهم من تلك القوة (أولئك) وان كانوا باعتبار تلك القوة فيهم أكمل من الانعام (هم الغافلون) عن تلك الكمالات والنقائص ليهتموا لتحصيلها ودفعها اهتمامهم بجر المنافع الدنيوية ودفع المضار الدنيوية فهم أردأ حالا من الانعام لنقصهم مع وجود قوة الكمال فيهم ثم أشار الى ان الكمالات الانسانية انما هى فى دعوة الله باسمائه وقد صار وا فيها أضل من الحيوانات اذ هى تسبح بحمده بعض تلك الاسماء وهؤلاء يلحدون فيها فقال (ولله الاسماء الحسنى) لا تتعداه الى مظاهره ظهر بجمالها لجمال اليه فيدعى بها (فادعوه بها) ليفيض عليكم كمالاتها المقربة لكم اليه وتابعوا فى ذلك أمره (وذروا) متابعة (الذين يلحدون) أى يميلون (فى اسمائه) فيجعلها بإظاهره حتى اذا لم تصلح بحالها اخذ منها ما شاء تقاتها كاللات من الله والعزى من العزيز فان متابعتهم أقبح من متابعة الانعام فى افعالها التى لا تليق بكم لانها لا تجزى عليها وهؤلاء (سيجزون ما كانوا يعملون) فيسلب انسانيتهم ويحال بينهم وبين ما يشتهون بجهوا نيتهم (و) كيف لا يذرون متابعة الملحدين مع ان فى متابعة المحقين غنى عنها اذ (ممن خلقنا امة يهدون بالحق) أى بالطريق الثابت من الاستدلال بظهور اسمائه فى المظاهر عليه (وبه يعدلون) عن المظاهر وصور الظهور الى ذاته واسمائه فيجب متابعتهم وان خلوا عن الخوارق ولا يغتر بخوارق الملحدين لانهم بالحادهم مكذبون بآيات الله الدالة على ربوبيته للمظاهر المانعة من اتخاذها ارباباً من دونه (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم) أى نستنزلهم قليلا قليلا (من حيث) أى من طريق (لا يعلمون) انهم يستنزلون اذ نعطيهم الخوارق (و) من استدراجى اياهم انى (املى) أى امهلهم ليزدادوا اثما فيعتقدون انه نافع (لهم) ولا يعدمنى ذلك (ان كيدى متين) وان لم يزدادوا اثما فهو الزام للحجة لانه وسع لهم وقت التفكر لكنهم لا يتفكرون فينسبون رسول الله الى الجنون (أ) ينسبون اليه الجنون (ولم يتفكروا) ليعلموا انه (ما بصاحبهم من جنة) بل كوشف ما وراء طور العقل لانذار العقلاء عما حجبوا عنه (ان هو الا نذير مبين) لما حجبوا عنه (أ) يزعمون انهم ادركوا الاشياء بعقولهم (ولم ينظروا) بها (فى ملكوت السموات والارض و) لا فى حقائق (ما خلق الله من شئ) فانها لا تنكشف فى طور العقل لقصوره عن التمييز بين الذاتيات والعوارض اللازمة للاشياء (و) لا فى آجالهم ولا فى مقتضى عدم اطلاعهم عليها وهو (ان عسى ان يكون قد اقترب

اجلهم)

الذر لان الله أخرج الخلق من صلب آدم كالذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى وقال غيره أصل ذرية ذرورة على وزن فعلولة فلما كثر ذلك التضعيف أبدلت الراء الاخيرة ياء فصارت ذروية ثم ادغمت الواو فى الياء فصارت ذرية وقيل ذرية

أجلهم) ولا فى مقتضى ذلك وهو المبادرة الى الايمان ولو وقفوه على اكثر الاحاديث (فبأى حديث بعده يؤمنون) مع انه لا اكمل من المعجز الجامع لكل ما يفيد الهداية لكن (من يضلل الله فلا هادى له) كيف والهداية منوطة بالنظر ولا يتأتى من أهل الطغيان (و) الله تعالى لا يخرجهم عنه بل (يذرهم فى طغيانهم يعمهون) أى يتحيرون من عمههم فى الطغيان انهم اذا امروا بالايمان بالساعة (يسئلونك عن الساعة ايان) أى فى أى وقت (مرساها) أى استقرارها فانا نؤمن قبيل ذلك الوقت (قل) لما كان الاعلام بوقتها مانعا من الايمان فى الحال استأثر الله بعلمها (انما علمها عند ربى) وهو وان جعل لها اشراطا لم يجعل لها دلالة على وقتها فهى (لا يجليها لوقتها الا هو) لا شئ من اشراطها وكيف لا يخفيها والمقصود منها التخويف وهو فى اخفاء وقتها أتم (ثقلت) أى عظمت (فى) أهل (السموات والارض) فلا يسوغ لهم ترك الاستعداد لها بحال وهى وان كانت لها اشراط سابقة (لا تأتيكم الا بغتة) أى فجأة على غفلة وهم مع هذا البيان فى اخفائها (يسئلونك كأنك حفى) أى شفيق عليهم (عنها) أى عن وقوعها بغتة عليهم ليؤمنوا قبيل ذلك (قل) انما يتأتى منى الشفقة فى البيان لو تبين لى لكن (انما علمها عند الله) ليقهر من يأبى ان يؤمن بها الا قبيل اتيانها (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) انه أراد ذلك فلم يعلم الرسل المشفقين على الخلق ببيانها أيضا فان زعموا انك بعثت لرفع ذلك وان الرسول لا بد أن يعلم الغيب (قل) كيف يتأتى منى الرفع مع انى (لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله) تمليكه لى (ولو كنت اعلم الغيب) كله (لاستكثرت) أى حصلت كثيرا (من الخير) الذى فاتنى (وما مسنى السوء) الذى مسنى (ان انا الا نذير وبشير) فلا يلزمنى ان اعلم من الغيب الا ما ابشر به أو انذر فان لم يخف ولم يستبشر به من يشترط اطلاع الرسل على الغيب كله فلم يستفد بهما فائدة فيد بهما (لقوم يؤمنون) بان الله تعالى يستأثر ببعض الغيوب وان الرسل انما يطلعون على غيب ما يبشرون به او ينذرون عنه أو ما تعين فيهما وان الله تعالى أراد معاقبة البعض واثابة البعض وكيف لا يستأثر الله ببعض الغيوب مع انه لم يطلع آدم على ما فيه من اسرار أولاده وان علمه الاسماء كلها اذ (هو الذى خلقكم من نفس واحدة) هى آدم ففيه سر أولاده (و) سر زوجته أيضا اذ (جعل منها زوجها) وكيف لا يكون فيه سرها وقد خلقها (ليسكن) أى يميل (اليها) ميل الكل الى جزئه وهو كثيرا ما يفيد المائل الاطلاع على اسرار من مال اليه ومع ذلك لم يعلم هو ولا زوجته ما فى بطنها ومخرجه منها وذلك ان الميل اليها أوجب غشيانها (فلما تغشاها حملت حملا خفيفا) لم تلق فيه ما تلقى الحوامل من الاذى فلم يستدل بخفة البداية على خفة النهاية (فمرت به) أى فاستمرت على الخفة فلم يستدلا بدوامها على انها الغاية وان كان فى الوسط ما كان لكنهما نظرا الى الوسط (فلما أثقلت) أى صارت ذات ثقل بكبر الولد اتاهما ابليس فى صورة رجل فقال لها ما يدريك لعل فى بطنك كلبا أو بهيمة وما يدريك من اين يخرج ايشق له بطنك فخافت من ذلك وخاف زوجها

فعولة من ذرأ الله الخلق فابدلت الهمزة ياء كما ابدلت فى نبئ

* (باب الذال المكسورة) *

(قوله عز وجل ذلة) أى صغار (قوله تعالى ذكره ذكرى) أى ذكر (قوله عز وجل ذمة) أى عهد وقيل الذمة ما يجب ان يحفظ ويحمى وقال ابو عبيدة الذمة التذمم من

حتى (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا) ولدا (صالحا) أى مستويا (لنكونن من الشاكرين فقال لهما ابليس انى من الله بمنزلة ان دعوته فجعله مثلك وسهل عليك خروجه فتسميه عبد الحرث وكان اسمه بين الملائكة الحارث فقبلا على ظن ان الحارث بالحقيقة هو الله فأرادان يوهم أولادهما كونهما مشركين ليتبعوهما وان لم يشعرا بذلك (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) أى فى اسم ولد آتاهما من حيث لا يشعران به اذ سمياه عبد الحرث فتوهم أولادهما ذلك (فتعالى الله عما يشركون) أى أولادهما (أيشركون) بخالق الاشياء (ما لا يخلق شيأ و) ليسوا بقدماء بل حوادث اذ (هم يخلقون و) ليس لهم ما للانسان من نصر نفسه أو غيره اذ (لا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون و) ليس فيهم فائدة الهدى بل (ان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم) بل لا يسمعون دعاءكم حتى انه (سواء عليكم) دعاؤكم وسكوتكم بحيث تشكون عند دعائكم فى انهم (ادعوتموهم) فى وقت من الاوقات (أم أنتم صامتون) أى مستمرون على السكوت (ان الذين تدعون) مع انهم لا يستحقون الدعوة لكونهم (من دون الله) لو كان فيهم قوة النصر وفائدة الهداية فغايتهم انهم (عباد أمثالكم) واحد المثلين لا يستحق عبادة الآخر له فان كانوا أكمل منكم (فادعوهم) أى ليؤثروا فى فان عجزوا عن التأثير (فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) فى ان لهم كمالا مثل كمالكم أو أكبر منه وكيف تدعون لهم كمال التأثير مع انهم اجسام لا تؤثر بدون الآلة (ألهم أرجل يمشون بها) ليصلوا الى الشئ فيؤثروا فيه (أم لهم أيد يبطشون بها) أى يتصرفون فى الشئ عند الوصول اليه (أم لهم أعين يبصرون بها) ويؤثرون فى المرئى بمجرد الرؤية (أم لهم آذان يسمعون بها) فيؤثرون فى المسموع بمجرد القصد فان زعموا ان لها تأثيرا بأحد هذه الوجوه أو غيرها (قل ادعوا شركاءكم) ليؤثروا فى (ثم) ان عجزوا عنه لشعورى به (كيدون) بضر ولا اشعر به حتى يمكننى دفعه ولو خفتم اطلاعى على كيدكم (فلا تنظرون) مدة اطلاع فيها على كيدكم فان كان لها ذلك التأثير فلا ابالى له وان لم أشعر به (ان وليى الله) الذى لا يغالبه تأثير شئ ويدل على انه تولانى انه (الذى نزل) على (الكتاب) الجامع لانواع التأثيرات وجمعه لانواع الحجج ورفع الشبه وغير ذلك وكيف لا يتولانى (وهو) بحسب سنته (يتولى الصالحين) فلا يمكن أحدا من اضرارهم (والذين تدعون من دونه) لا يتولون أحدا اذ (لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون) اذا قصد اضرارهم (و) لو تولوا فليس عندهم أجل فوائد التولى وهو الهداية بل (ان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا) اذ ليس لهم سمع وان صورت لهم الآذان كما انه لا بصر لهم (و) ان كنت (تراهم ينظرون اليك) اذ صورت لهم الاعين (وهم لا يبصرون) واذا جادلوك فى شركائهم بعد هذا البيان (خذ العفو) مكان الغضب ليكونوا اقبل للنصيحة (وأمر) من توهمت فيه قبولها (بالعرف) أى التوحيد بدلائل مقبولة المقدمات (وأعرض عن الجاهلين) أى المصرين على جهلهم (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) أى وان تحقق

لاعهد له وهو أن يلزم الانسان نفسه ذماما أى حقا يوجبه عليه يجرى مجرى المعاهدة من غير معاهدة ولا خلاف (قوله تعالى ذبح عظيم) يعنى كبش ابراهيم صلى الله عليه وسلم والذبح ماذبح والذبح المصدر (قوله ذكر لك واقومك) أى شرف

نخس من الشيطان اياك مثير للغضب منك على جهلهم واساءتهم فيما امرت فيه من العفو والامر بالمعروف (فاستعذ) أى استجر (بالله) وادعه فى دفعه (انه سميع) لدعائك ولو حال الغضب بل لا تحتاج الى الدعاء لانه (عليم) باستعاذتك بل لا حاجة لك الى الاستعاذة لكمال تقواك (ان الذين اتقوا اذا مسهم) خاطر (طائف) أى دائر حول القلب (من الشيطان تذكروا) ما فيه من المكر (فاذا هم مبصرون) لما عليه الامر فى نفسه (واخوانهم) وهم الذين لم يتقوا لم يتأت لهم التذكر ولا ينفع فيهم الاستعاذة اذ الشياطين (يمدونهم) بتكثير الشبه والتزيين والتسهيل (فى الغى) أى الضلال (ثم) ان بولغ عليهم فى الوعظ بآيات الله واقامة الدلائل ورفع الشبه وغير ذلك (لا يقصرون) عن الغواية (و) يدل عليه انك (اذا لم تأتهم بآية) اقترحوها (قالوا لولا) أى هلا (اجتبيتها) أى انشأتها من اختيارك طريقة تشبه الاعجاز (قل) انها معجزة بالحقيقة ولا دخل لاختيارى فى انشائها بل (انما اتبع ما يوحى الى) بطريق الاعجاز ليعلم انها تصديق لى (من ربى) وكيف لا يكون تصديقا وليس فيه شئ من الاغواء اذ (هذا) الوحى (بصائر) أى امور كشفية يعلم المكاشفون انها (من ربكم وهدى) أى دلائل قطعية (ورحمة) ترفع شبها لكن جميع ذلك انما يظهر (لقوم يؤمنون) فيتفكرون فى حقائقه ومن أراد ذلك استمع له وانصت لذلك قال (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا) عما سواه فلا حجة فيه لمن منع القراءة مع الامام فى الجهرية للاجماع على جواز اجتماع قارئين يسمع كل واحد منهما قراءة الآخر فى غير الصلاة مع ان الامام مأمور بالسكوت وقت قراءة المأموم (لعلكم ترحمون) بالاطلاع على اعجازه وفوائده الغير المتناهية فى الدنيا والآخرة ثم أشار الى ان تلك البصائر والهدى والرحمة لمستمع القرآن مع الانصات انما تتم بذكر الله فقال (واذكر ربك فى نفسك) أى باطنك (تضرعا) أى متضرعا يعنى متذللا (و) يتم التذلل بكونه (خيفة و) باللسان فوق السر (دون الجهر من القول) ليسرى أثر كل واحد منهما الى الآخر ويجتمعا على الذكر ليكون ذاكرا بالكلية ويسرى منهما النور الى سائر الاعضاء (بالغدو) وقت ابتداء النور ليكمل (والآصال) وقت انتقاصه لئلا ينتقص (ولا تكن) فيما بين ذلك (من الغافلين) بالكلية بل لا بد وان تكون ذاكرا بالقلب وان اشتغل لسانك بالغير ولا تستغن بذكره عن عبادته فانه نوع من التكبر يحترزه أهل القرب (ان الذين) تقربوا الى الله حتى صاروا (عند ربك) فى أعلى مقامات القرب (لا يستكبرون عن عبادته و) لا يستغنون بعبادته عن ذكره بل (يسبحونه و) لا يدعون الكمال لانفسهم عند ذلك بل (له يسجدون) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الانفال)

سميت بها لانها مبدأ هذه السورة ومنتهى ما ذكر فيها من أثر أمر الحروب (بسم الله) الجامع

(باب الراء المفتوحة)

(قوله عز وجل الرحمن) ذو الرحمة لا يوصف به الا الله عز وجل (قوله عز وجل رحيم) عظيم الرحمة (قوله تعالى رب) شك (قوله عز وجل رغدا) كثيرا واسعا بلا عناء (قوله عز وجل رفث) نكاح والرفث أيضا